يمان عبدالعزيز

تحت ضياء القمر

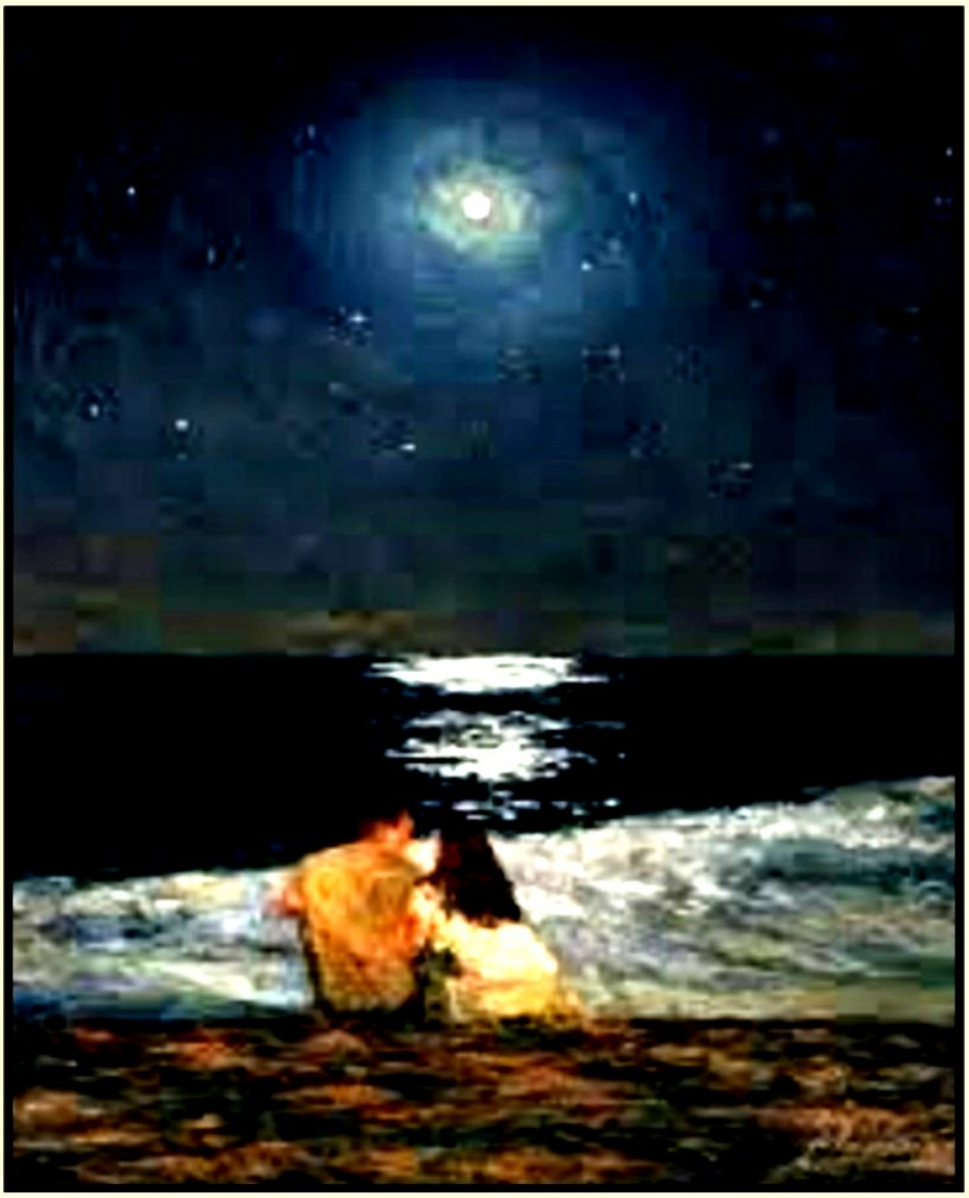

رواية

@ HODHOD SABA
هدهد سبأ

المؤلف

☐ هو : "عبدالعزيز الحدالي" كاتب - روائي وقاص - يمني - من مواليد - يناير / ١٩٨٠م - صدر له عن " هُدهُد سبأ "..." كُنت جباناً عندما أحببتها " (قصة) ط١ أغسطس ٢٠٢١م.. تُنشر أعماله بالإسم المُستعار" يمان عبدالعزيز " على منصة (مكتبة نور الإلكترونية)، ولم تصدر له أي أعمال ورقية حالياً.

لتحميل أعمال المؤلف يرجى زيارة مكتبة نور

https://www.noor-book.com

يتوفر هذا الكتاب و جميع أعمال المؤلف مجاناً على- مكتبة نور الإلكترونية - حيث يمكنكم قراءت وتحميل جميع أعمال المؤلف على أجهزتكم الإلكترونية بشكل مجاني، من أي مكان في العالم، وفي أي وقت، كل ما عليكم هو زيارة مكتبة نور، و البحث عن إسم الكتاب، أو إسم المؤلف- يمان عبدالعزيز- عبر الدخول إلى "جوجل" من ثم تحميل الكتاب، عبرالرابط الخاص به داخل المكتبة.

منشورات هدهد سبأ

تحت ضياء القمر

يمان عبدالعزيز

تحت ضياء القمر

رواية

٢٠٢٣م

• الكتاب : تحت ضياء القمر.
• التصنيف : رواية.
• المؤلف : يمان عبدالعزيز.
• الغلاف : Star king.
• إشراف وتدقيق : مصطفى بحر.
• الطبعةالأولى : تشرين الثاني ـ نوفمبر / ٢٠٢٣م.

مكتبة - هدهد سبأ - منشورات نوفمبر/ ٢٠٢٣م

• الناشر- المؤلف نفسه، كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة، ولا يسمح بأعادت طبع أو نشر هذا الكتاب، باي صورة كان ورقيه أو إلكترونية، دون إذن مسبق من المؤلف والناشر.

منشورات هدهد سبأ

الإهـداء..

سألتهم : و كيف حالكم بعد الفراق؟ فسكتوا و لم يجبيوا على سؤالي!
عندها شعرت بالحماقة ، وعلمت أن سؤالي كان غبياً..
فمن يسأل الموتى عن أحوالهم؟!

إلى أهل هذا الفراق.. إلى أصحاب هذا الوجع.. إلى جنة الحب، و جحيم الفقد.. إلى حكايتكم الجميلة الطاهرة .. قلوبكم الصادقة و الوفيه ، و أرواحكم المنهكة من الفقد الحرمان..
إليكم أبطال روايتي.. أهدي ما كتبت.

يمان عبدالعزيز
(عبدالعزيزالحدالي)

- و كرسالةً أبدية : " أحُبكِ و سأبقى أحُبكِ"!
لأنكِ أنتِ.. " غزل" فأنتِ حكايةً لا تنتهي..

(سام)

أيامي الحائرة تذوب مع الليالي المسرعة
وتضيع أحلامي على درب السنين الضائعة

بالرُغم من هذا أحبك مثلما كنا .. وأكثر
مازال في قلبي.... بقايا أمنية

(فاروق جويدة)

تمضي بنا الأيام في عجل، و يمضي بنا العُمر دون أن نشعر به، تُقلب صفحات السنين، دون أن نقرأ ما فيها، أو نستوعبه..

ظننت أننا سنكون في عمرنا هذا معاً، و طفلُنا الصغير يلعب في مرحاً بيننا، لكنني أجلس الأن بمفردي أندب حظي اللعين، و أبكي على أحلامي الضائعة.. أنظر في خوف إلى القمر، لأجده يشهد بسطوعه على خيباتي.

لا أحد يعوضني ما فقدت..

لا أحد يُعيد ما ضاع مني ..

لا شيء يُرمم خسارتي لكِ ..

و لا شيء يشعر بما يحدث بي، سوى الوجع الذي أصبح رفيقي منذو لحظة الفُراق التي لا تنتهي..

* * *

- من الصحيح أن الفُقد مؤلم، لكن الأشد ألماً هي تلك الذكريات التي خلفها لنا من فقدناهم -

الفُقد مؤلِم يا غزل؟..

مؤلِم جداً!..

و الأشد ألماً أننا لا ننسى من نفقد؟!..

مهما حاولنا، يستحيل بنا نسيان من يسكننا!..

النسيان خدعة يا غزل..

خدعة يوهم الأنسان بها نفسه.. ولعبةً إخترعها لينشغل عن أشياءً تؤلمه، حتى يستطيع أن يعيش في حياة مليئةً بالأوجاع!

النسيان جرعة تخدير وقتها محدود.. قطعةً نُضمد بها جراحنا التي لا يمكن أن تلتئم؟!

أتدرين يا غزل؟.. أن كل هذا لا يعنيني.. لأنني أساساً لا أُريد نسيانكِ!..رُغم أن جرحي يكبُر كل ما طال فُراقكِ.. لكنني أُحب أن أتوجع، و أُحب وجعي عليكِ، أن أبكي لتنهار

دموعي دون توقف، ما دامت عيناي لا تراكِ، أتألم و أتلذذ بألمي عليكِ!..

لقد أدركت مؤخراً.. أن الألم الحقيقي هو أن نحاول نسيان الألم، دون أن نعرف دوائه، أو سببه غزل؟..

فهُناك ألآم لا يمكن أن تُشفى إلا بالشعور بها، و ألمي عليكِ لا يداوى سوى بحالتين، الأولى..أن أشعر به أكثر فأكثر!..أن أجدده إن شعرت يوماً أنه يخف، والثانية.. أن يتداوى بكِ أنتِ!

كُنتِ تقولي لي دوماً: بأني أُحب تضخيم الأمور، أكثر مما ينبغي!

عندما أُريد إقناعكِ بأي فكرة، فإنني أضطر لأن أُفسر لكِ كل (كلمةٍ)..! و كان تفسيري يطول بُحكم طبعي في طريقة التعبير، حتى حول أبسط الأشياء أو الأمور؟..

كنتِ تضحكين كثيراً و أنتِ تقولي: كم أنت متفلسف؟!

ولم أكن أهتم بما تقولي.. ولا بما قُلت.. بقدر ما أهتم لضحكتكِ التي أعشقها وأعشق سماعها، و رؤيتها أعشق التغيرات التي تُجريها عليكِ، واللمسات الفاتنة التي تُضيفها على ملامُحكِ، الوروود التي تتفتح في وجنتيكِ.. الغمازتين التي تظهر وسط خديكِ، و العينان التي تصغُر لتزداد روعة؟!

أعشق الأثر الذي تتركه في نفسي.. السعادة التي تمنحُها لقلبي.. الروح التي تمنحُني.. والقوة التي تُشعرني بها، والأمل الذي تُهديه لي!

فأصمت.. وأصمت! و تنعقد لساني عن الكلام، و أنسى عندها كل شيء؟!

* * *

من وقت إلى آخر..
فلنعد أطفالاً.. ولنحزن بلا كبرياء زائف!

(غادة السمان)

أتمنى لو أني أملك آلة الزمن يا غزل؟..

ليكون لي القُدرة على إعادته! لنعود إلى مطلع القصيدة! هذه القصيدة التي سأبقى أُغنيها!..و إلى بداية الحكاية؟ هذه الحكاية التي لا أُمِل من قرأتها؟! التي أرغب في تكرار كتابتُها، أرغب أن أعيشها مجدداً!.. رُغم تعثر نهايتُها، و رُغم الثُقب الذي أحدثته في داخلي!

أغمض عيناي وأفتحُها.. لأجدكِ في جانبي؟..تمسكين يدي، وتسرحين في القمر، لأسرح أنا فيكِ؟..

أغمض عيناي مُجدداً..

لإجدُنا طفلان يعلبان في كل مرح، يركُضان، دون تعب دون كلل، يضحكان في كل سعادة ولا شيء يقطع سعادتهُما، بأرواح طاهرة بأحلام بريئة! ولا حزن يملأ قلبيهُما!طفلان كل همهُما كيف يستمتعان بلألعاب؟ كيف يحصُلان على لعبة

جديدة؟ أو كيف يضفُران بقطعةً من الحلوى؟.. طفلان شغوفان، بمعرفة الحياة؟ طموحان إلى أبعد الحدود! طفلان لا يفصل بين منازُلنا سوى جدارً متوسط الأرتفاع كُثرما تسلقناه! وباب حديدي طُلي بلون الأصفر، لا يُغلق إلا عندما ننام، ليُفتح عند شروق الشمس؟.. ثم أفتح عيناي لأجدنا نكبُر! لتكبر طموحاتنا، تكبُر أحلامنا، تنضج مشاعرنا، لتبدأ حكايتنا، تُكتب بحروف أكبر! بلغةٍ أعمق وأفصح؟..

فتقلب صفحة الطفولة دون أن نقرأ أخر سطراً منها؟! و تُفتح صفحة جديدة، ليُكتب بين سطورها، فصلٍ ثاني من حكايتنا، فصل يُكتب بحروف الحُب وبلغة العشاق.

* * *

إليكِ..

رفقاً بقلبي يا فتاه فإنه لا يزال صغيراً..

وإن كبر بحبكِ أنتِ.. و شاخ قبل الأوآن..

(سام)

نكبُر ياغزل.. نكبُر لننضج، و ننضج ليتغير كل شيء.. نكبُر دون أن نشعر كيف كبرنا؟..

قليلاً ما نلتقي، قليلاً ما نتحدث، يُغلق ذلك الباب، و قلما يُتفح، يصبح ذلك الجدار أعلى في نظرنا، و يصعب علينا تسلقه.

تغير كل شيء يا غزل حين كبُرنا..

أصبحتِ فتاة يانعه محتشمه، بملامح أكثر جمالً، و أصبحت شاباً أكثر قوة أعمق هدوء.. أصبح قلبي ينبُض مسرعاً.. تزداد دقاته عندما أراكِ، أصبحتْ أشتاقكِ، أشتاق لرؤيتكِ، لرؤية عينيكِ التي ما أن أراها حتى أعرف جيداً كم هي تشتاقني كما أشتاقها و أكثر.

أصبحتْ أترقّب بفارغ الصبر الوقت الذي يُتفح فيه ذلك الباب و تُطلي منه كالشمس عند الشروق.. فتسبق خطواتكِ

رائحتكِ العطره لتملأ روحي بشذاها و فوحها! تتراقص دقات قلبي على صوت خطواتكِ! تتجمد كل أوصالي عند سماع صوتكِ، و يذوب كل ما بي عندما تتبسمي! و أسافر بعيداً في عينيكِ.

تتساقط الأيام كالنقاط على حروف حكايتنا، و تتجمع الأسابيع كالجُمل، و تُكمل الشهور كالسطور!

و حكايتنا تستمر يا غزل..

و الأحداث تزداد حماسة و تشويق.. تتغذى قلبينا بالعشق دون أن تشبع، يغرق كلاً منا في الأخر دون أن يحاول الأخر إنقاضه.. و تستمر الحكاية، لتحضُر بين سطورها لغة الصمت، التي ربُطت لسان البطلين.. لا أحد إستطاع أن يبادر، أن يُخبر الطرف الأخر بأنه يسكنه.. كلً منا كان ينتظر الأخر ليبادر، ليكسر قيود الصمت، و يحرر صوت الغرام..

ومن المؤسف أن نكون في لحظة صمت عندما يتوجب علينا الكلام، وفي شرود وقت فِعل شيء..

كل شيئاً بي كان يُحبكِ.. كل جزءً مني يُقسم لي بأنه يُحبكِ أكثر من الأخر، وكل ما فيكِ كان يُنبؤني بأن ما يحدث لكِ أعظم مما يحدث لي.. كل حركة منكِ توصل لي رسالة عشق أنا المقصود بها..كل شيئٍ فيكِ يقول لي أُحبك.. لأحبكِ أكثر فأكثر.

لكنني كنت أتجاهل أكابر، و أقسم لنفسي بخالقها بأن، لا أفصح بما في داخلي قبل أن تفصحي، بأن لا أقول قبل أن تقولي!

إن كنتِ عنيدة يا غزل.. فأنا أعند منكِ، و إن كنتِ تشعري بالكبرياء، فأنا الكبرياء نفسه.. كرامتي مقدسة، و كبريائي أعظم

من أن يضعُف أمام فتاة، وإن كانت تلك الفتاة هي أنتِ، وأنتِ هي (روحي).. وراحتي!

أقنعت نفسي، وأنا أعلم جيداً بأني سأضعف ذات يوم.. أقنعت نفسي و صمت، وبات يقتلني الصمت لو لاكِ.

* * *

- الكتابة هي تمثالُنا الخالد..
و القرأة هي من شكلت ذلك التمثال -

لطالما كنا شغوفان بسماع القصص، ومغرمان بالحكايات في طفولتنا يا غزل!

وحين كبرنا، و نضجت عقلينا التي أظن أنها تغذت جيداً بتلك القصص، و الحكايات التي سمعناها في صغرنا!

زاد شغفنا؟ وكبر حُبنا لها، لنصبح نحن من يقرأ لأنفسنا القصص، ويصبح لنا حريّة إختيارها!

أصبحنا مغرمان بمطالعة الكتب، وبالذات تلك التي تحمل على غلافاتها كلمة (رواية)..! أصبحنا نقرأ، و نعيش فيما نقرأه، بدل أن كنا نسمع و نعيش فيما نسمعه؟!

زاد حبي للقراءة منذو أن بدأ لساني يجمع الحروف بكلمة، و ينطقها، زاد شغفي بها أكثر فأكثر، وكذلك كنتِ أيضاً... لنصبح يوماً ما صناع لما نقرأ، و قراءً لما نكتب!

صرنا نقرأ لكي نكتب، و نكتب لكي نقرأ.. لتُكتب في حكايتنا معاً قصصاً، و تُنشد أشعاراً، وتولد أفكارً، تُملأ أقلامً بحبراً لا يجف، و تُسطر أوراقً دون توقف.

ليس هُناك أروع من أن نقرأ شيئاً، نحن كُتابه.. شيئاً نحن صُناعه!

الكتابة يا غزل.. هي صوتنا.. ذلك الصوت الذي يُصدر في داخلنا، هي السعادة التي لا نرغب بفقدانها، و الحزن الذي يسكننا، هي همومنا و أفراحنا، هي أحلامنا و أمنيات نتوق لتحقيقها، هي خيالنا، هي أشياء تكمن في أعماقنا.. هي نحن في مكان آخر، وعلى شكل آخر، هي حقيقتنا المخفيه، هي (حياة).. حياة نعيشها دون أن يعلم أحداً بها، هي حياة نبقى نعيش فيها إلى الأبد؟! حين نموت تبقى تلك الحروف و الجُمل، تبقى تلك السطور، تبقى تلك الحياة لنبقى أحياءً فيها!

نحن لانكتب لننتظر أجراً لكتاباتنا، أو لننتظر مدح أو ثناء أحدهم؟. نحن حين نكتب، نكتب من أجل أنفسنا، نكتب لنعيش عمراً أطول، لنحيا حياة أفضل من تلك التي خُلقنا بها؟!

نكتب لنُعبر عما يجتاحنا، لنخفف من هموم، من أحزان تمزقنا، لنتنفس من ضيق يملأ صدورنا، يكتم أنفاسنا و يخنقنا. نكتب لنهرب من كل شيء، نكتب لنُعبر عن مشاعرنا، لنكشف عن حقائقنا، نكتب عن تلك الاشياء التي تنقصنا، تلك التي نحتاجها، أو عن تلك التي عشناها يوماً ما؟!

نحاول أن نرسم لنا صورةً جيدة، صوره نبتسم فيها،صوره أفضل من تلك التي يارانا بها الأخرين! لنحرر تلك المشاعر التي تكمن في أعماقنا، و نوصِل صوتنا الحقيقي لذلك العالم الوهمي.. من خلال تلك الكلمات التي ننسج حروفها.

نكتب لأجل أن نحيا حياة نحن فقط من يستطيع التحكم بها، نحن ولا أحد له شأنً بها..

الكتابة يا غزل..

هي السبيل الوحيد للخلاص، من واقع مؤلم، من حياة تحكم الأخرين بمصيرنا فيها، من قيود تأسرنا تُقيدنا، عن حياةٍ أردناها!

هكذا يا غزل.. طالت حكايتنا كثيراً! و سادت لغة الصمت بين سطور أحد فصولها! لكن الصفحات تُقلب صفحة تلوى أخرى، و ستُقلب أخر صفحةٍ من ذلك الفصل الطويل الذي كُتب بلُغة الصمت؟.. بحبر الغرام على أوراق الحب.. بقلم سلطان القلوب.. سيد الدنيا.. جلالة العشق!

* * *

- ومن المؤسف حقاً أن نكون في لحظة
صمتْ عندما يتوجب علينا الكلام!
و في شرود.. وقت فعل شيء! -

من أمر وأصعب ما في الحياة أن نعشق شخصاً دون أن يعلم هو بهذا العشق.. دون أن نتقاسم معه حلاوة العشق ومُره.

من أصعب لحظات العُمر.. لحظةً نقف فيها أمام من نعشقه عاجزين خائفين!

أنا وأنتِ يا غزل.. أكثر من تجرعا مرارة، وصعوبة هذا الشعور.. وأكثر من عاشا تلك اللحظات؟!

أخاف الأن وأنا أُقلب صفحات ذلك الفصل الطويل من حكايتنا! يتخلجني ذاك الشعور المُخيف.. عندما تخطُر في عقلي فكرة أن لو كان القدر الذي كتب لنا حكايتنا، جعل ذلك الفصل منها يطول أكثر، ليكون هو أخر فصول حكايةً كان لابد لها من أن تكون أكثر حماسً وتشويق، أكثر روعةً ومتعة.. من أن تُنهى قبل أن تبدأ، وتحرق دون أن يقرأها أحد، تُدفن في قبر الصمت، قبل أن تُصدر صوتاً، قبل أن يسمع صوتها القمر.

كم كنا عنيدين؟ كم كنا قاسيين رُغم هشاشة أرواحنا؟! كم كنا ساذجين التصرفات في ذلك الفصل؟

أني أشفق على أولئك الذين يجرعون مرارة ذلك الشعور؟! أعني أن يكتب لهم القدر قصة عشق بلغة الصمت!

كيف للمرء أن يُدخل نفسه في حرب هو الخاسر الأول والأخير بها! حرب سلاحها ثقيل، مُدمراً للقلب، حارقاً للعين، مُنهكاً للجسد، مُهلكاً للروح.. حرب نيرانها لا تنطفئ! كيف للمرء أن يعاني كل تلك الألآم لوحده؟! أن يضمئ دون أن يرتوي ولو بكلمة ممن يُحب؟! أن يحترق بنار الشوق، دون أن يُطفئ تلك النار شاعلها؟!

لست أعلم إن كان لدى شخصاً ما تلك القوة، و لكنني أعلم تماماً أنه أضعف إنسان على وجه الأرض، وأنه ميت وإن بدا غير ذلك.

و رُغم ذلك فأني أغبط بشدة أولئك، الذين يرغمون أنفسهم على أمراً لا طاقة لها به!

لكنهم أكثر الناس إستحقاقاً (للحُب).. وأعظم حُب هو حُبهم!

صدقيني ياغزل.. أن أعظم، وأصدق، وأطهر حكايات العشق.. هي تلك التي لم يقرأها أحد، تلك التي عانى وتألم، عاش، ومات فيها البطل دون البطله، أو العكس! تلك التي لم يتأذى فيها سوى شخصاً واحد!

ما أصدق وأطهر منه ذلك الحُب!.. لكنه مؤلم، وألمه لا يستطيع تحمله سوى إنسان قرر قتل نفسه بأبشع الطُرق!

الحُب كالحرب! عليكِ التزود بالشجاعة قبل الدخول فيها.. لا يمكن أن تقاوم إن لم تكن قوياً وشجاعاً فيها بغض النظر أن التفكير بالهزيمة، والأنتصار! فالحرب لا تخلوا من الخسائر والتضحيات.. لا بد أن نُضحي من أجل أن ننتصر؟!

وحرب الحُب ياغزل..ليس فيها مُنتصراً ومهزوم، إما أن ينتصران الطرفان معاً، أو أن يخسران معاً!

الحُب تماماً ساحة حرب، لا مكان فيها لضُعفاء! تُقتل فيها القلوب التي لم تضعف! تأسر فيها قلوب حاربت حتى النهاية، وتُسلب فيها عقول كانت أدهى من أن تُسلب، وتُغدر فيها الأرواح برصاصةً طائشة، أو سيف لم نتوقع طعنته؟!

وكل هذا يعني أن الضعيف لا مكان له في ساحة الحُب، تماماً كما لا مكان له في ساحة الحرب، ولا في الحياة بأسرها.

أنا وأنتِ لم نكن يوماً ضعفاء! لكننا كُنا كجيشٌ وقائده، كلٍ منهُما يُريد من الأخر أن يتقدم لساحة الحرب أولاً! ليتبعهُ الأخر دون خوف؟! فلا القائد تقدم، ولا أمر جيشة بالتقدم! لكن هذا حتماً أمراً لا يقبل القسمة على إثنين، إما أن يتقدم أحدهما، أو يموت جميعهما؟!

أعترف الأن، بأني كُنت في مكان الجيش، وكُنت أنتظر أمرُكِ لي بالتقدم، أو تقدُمكِ لأتبعكِ غير عابئً بما ممكن أن يحدث؟!

كل لحظةٍ قضيتها منتظراً كانت تقتلني،وتزعزع كياني! أحاول قدر الأسطاعة أن أثبُت، وأصمد لأجلي ولأجلكِ أيضاً، أخشى إن تقدمت أن يُقتل الجيش ويُأسر القائد، ولكن تلك معادلةً يصعُب حلها.. ولا مُحال من أن نُسقط قيمة (الصاد).. والذي هو رمزاً لصمت! وإلا ما كان للمعادلة أن تُحل، أحدنا فقط يجب أن يُضحي، أن يغلق مادة الكبرياء، ويضع قلم العناد، من أجل أن لا نرسُب في أول إختبارات العشق، أحدنا يجب عليه أن يقدم إختبار القبول في جامعة الحياة، لأستاذها (الحُب).

وأظُنكِ إن لم تفعلي لفعلتْ أنا؟! لأن كل مابي يُرغمني على فِعل هذا رُغم إدعائي أن لا أفعل،رُغم قسمي واليمين التي أديتها لنفسي، كنت سأضعف، ذلك الكبرياء الذي لن يضعف أمام

إمرأة كان سيُسقط راياته، وسيركع متوسلاً منكِ المغفرة! لو أن ربي ما جعلني ممن ينقضون عهده.

سألتني مرة: إن كنت سأفعل وأعترف بحبي لكِ إن لم تفعلي أنتِ ذلك ؟

أذكر وقتها بأني قُلت لكِ بإعتزاز نفس: وهل تريننى ممن يُعري مشاعره و يجرح كرامته؟ حين يسقط كبريائه من أجل الحُب؟!

ـ ماذا عني؟ هل ترى بأنني بعت أخلاقي؟ وأنزلت من قدري، حين عريت مشاعري إتجاهُك، وأعترفت لك بحُبك الذي تملكني؟

ـ لا.. إنما أرى بأنكِ كنتِ أقوى وأشجع فتاه في هذه الدنيا.. أنتِ فتاة (إسطورية)! ألم تشعري بقدر ما فعلتي من تضحية؟ أظن أنه يجب عليكِ أن تقرأي أكثر، من كُتب التاريخ

والروايات، ستجدي بأنكِ أول إمرأة في التاريخ تقع في حُب رجل، فتعترف له بحبها قبل أن يفعل! أظن أن التاريخ لا بد وأن يضُمكِ إلى جانب أعظم النساء!.. أو الأن فقط ياغزل عرفت لما تُلقبين نفسكِ..(بحفيدة بلقيس).. أنا لم أسمع، أو أرى، أو أقرأ يوماً عن إمرأةً صارحت رجل بُحبها قبل أن يفعل! لهذا عليكِ يا أجمل وأعظم نساء الدنيا أن تُقدري قيمة ما فعلتِ! صدقيني يا غزل! أنني أُدين لكِ بهذا.. لكن فالتطمئني يا قمري، أُعدكِ أن أجعل التاريخ الأحمق يعتذر منكِ،سأكتب عن هذا يوماً ما، سأجعل كل النساء يتعلمن منكِ، لأنكِ قدوةً يُقتدى بها، ودِينٌ أنا وحدي أعتنقه؟! أنتِ "حبيبتي" الأن، وهذا الشيء الذي يجب أن أشكُركِ عليه بعد (الله) ياغزل.

ـ هل لاحظة كم من الجُمل قُلت؟ هل برهنت لي الأن أنك لم تقصد تجريحي، أم قمت بكتابة "مقالةً" ستنشرها يوماً ما؟ هذا إن

حالفك الحظ طبعاً؟ أو أعتذر إن كان كبيرائك وكرامتك ستسمحان لك بفعل هذا؟!

ـ هل تعلمي كم تبدي جميلةً حين تغضبي؟ إلهي كم أود تقبيل رأسكِ، لتعرفي بأني أُجللكِ/ أُقدركِ! وهذا طبعاً خارج نطاق العشق.. أما عن العشق؟ فأنني أود أن أضمُكِ أُريد أن أكون طفلاً بين ذراعيكِ.. يا غزل.

ـ هل تعرف؟ أنك لا تجيد التغزُل سوى ببطلات قصصُك؟ أما على الواقع؟ فدعني أُخبرك أنك لا تجيده أبداً أي"صُفر".

ـ أوا تريدي مني التغزُل بكِ؟ كيف؟ وأنتِ الغزل بذاته يا قمري أنتِ! صدقيني لا يمكن لأي كاتباً أو شاعراً أن يتغزل بكِ ياغزل! لأن الحروف تخجل بأن تُجمع بكلمة تصفكِ!

ـ يا الله كم أنت تُجيد المراوغة والتهرُب! كم أنت تُحب الكلام؟

ـ يا الله أوحي إلي بكلمات أصف بها صُنعك وإبداعك الذي جمعته على هيئة فتاة ووهبتني قلبُها! يا الله أنت وحدك من يعلم أنني لا أستطيع التغزُل بحبيبتي التي جعلت منها أعجوبة الدنيا الثامنة! بل جعلتها كل عجائبك وقدرتك؟!

ـ زاد إيمانك عن عباده الصالحين حتى يوحي لك.. عليك أن تستغفره.. أدعوه أن يغفر لك،لأنك الأن إرتكبت ذنب! أيها العبد الصالح أنت.

ـ كل ذنبٍ أنتِ سببه مغفوراً، لأن الله لا يبتلي العبد سوى بما سيغفر له، ولكن إن كان والديكِ قد أسمياكِ غزل، فما ذنبي أنا حين أعجز عن التغزُل بكِ وأنتِ الغزل ذاته؟!

ـ وما ذنبي أنا حين يوباخنني والداي، وقد تأخرت عن العودة للبيت، أذنبي لأني أسمع شاباً كبريائي، أم ذنبي لأنني أعشقه؟

نهضتِ ليلتها وأنتِ تقولي: لن أترك شيئاً في المنتصف، سأكمل حديثي من نقطة هروبك.

ـ أتعرفي ماذا يعني إسمُكِ؟

ـ أعرف أن هُناك بطلةً ما في إحدى رواياتك تنتظر منك أن تتغزل بها.

تركتني وقتها، ومضيتِ في عَجَل إلى بيتكِ.. وأمضيت كل الليل وأنا أحاول أن أجمع الحروف في كلمة تصفكِ، لكنني لم أنجح ولا أظن بأني سأنجح! رُغم أن فصول حكايتُنا الأن تُكتب بحبراً أحمر.. وألوان زاهية.. تلك هي ألوان الحُب، ذات الطابع المُختلف..تعجز كل الأقلام أن تصفكِ، لا شيء أقوله، سوى أنني أحُبكِ يا غزل يا قمري! فأنام وأنا أضم بصدري تلك الكلمة، وأحلم بحكايةً ما هي أنتِ.

* * *

أتذكر أيامي الجميلة معكِ..
كمن يرى الأشياء عبر نافذة قطار مسرع..

ذات يوم يا غزل..

كنت منهمك التفكير وأنا أحمل بين يداي أوراقي، وأنا أُسطر عليها كل فكرةٍ يجب أن تُسطر، أملأ قلمي بحبر مشاعري، وأُهيل أحرفي على الورق، أحاول أن أرتب كل الأحداث، أن أعيش في أعماق أعماقها، أن أساير كل شخصياتها، أن أكون في مكان كل شخصيةً خُلقت في مكانٍ ما بداخلي، أن أبكي إن إظطرني الأمر مع أحدهم، وأضحك بكل ما يمكن مع الأخر.

أن أجعل إحداهن جميلةً، وأضمُها بكل مشاعري، وأجعل أحدهم وسيمً وأشعر بروعة وسامته، أن أضيف لتلك الأميرة الوهمية رائحةً وأنا أستنشق رائحتها، أن أصفع أحدهم بقوة،ثم أتألم بدلاً عنه.

هكذا كنت منهمك التفكير، وأنا أسرد الأحداث، وأنسجها جيداً، ثم أرسم الشخصيات، وأعيش معها مرة، ومكانها أُخرى، في كتابتي للروايةً، خُلقت من رحم فكري.

لم أنتبه لوقوفكِ بجانبي، لم أنتبه لمجيئك.. هكذا أنا حين أكتب أو أقرأ، فإنني أترك كل شيء خلفي، أغادر المكان والزمان الذي أنا فيه، وأرحل بعيداً هُناك بين الأسطر،أعيش لحظاتي بين جُملة وأخرى،أنسى كل شيء ولا أشعر بأي شيء سوى الحدث أو الشخصيات الموجودة داخل الحدث في تلك القصة أو الرواية.

شعرت بأنفاس تُداعب وجهي، شعرت بحراره تلامسني، إشتمت رائحةً عطره تتغلغل إلى أعماقي، لتنتشلني من عالمي، لتكرهني بتلك الرائحة التي عطرة بها بطلت روايتي.

رفعت رأسي في هدوء، فوجدتكِ تُطلين بوجهكِ في صمت من خلفي، نظرت إليكِ مشدوهاً! أصدرتِ تنهيدة عميقة وأنتِ تستوي في وقفتك، وقلتِ: آه وأخيراً أفآق، الحالم من أحلامه.

أدرتِ نُصف دوره قبل أن تجلسي على مقربةً مني، ثم إستنأفتِ قائلة : تُرى ما الذي تكتب حتى أخذك بين حروفه، وجعلك تنسى كل العالم؟

أبتسمت وقتها في إعجاب،ليس على السؤال، بل على أسلوبك المدهش في إلقائه؟!

قلت لكِ بأرتباك، وأنا أللم أوراقي المنثورة أمامكِ:

ـ مرحباً.. بكِ يا غزل.. منذو متى وأنتِ هُنا؟

ـ كان عليك الترحيب بي وقت مجيئي، لتعرف منذو متى أنا هُنا، طبعاً إذا كان الأمر مهماً بنسبة لك!

ـ أعتذر، لم أنتبه لمجيئك.

ـ الله وحده يعلم أين كنت وقتها، ولأي جميلة كنت تكتب؟

ـ كما قلتِ، الله وحده من يعلم.

ـ حسناً..أخبرني ماذا تكتب؟

ـ أيهمكِ؟

ـ إن كان يهمك فهو يهمني أيضاً ؟

ـ رواية! أكتب رواية.

ـ وعن ماذا تتحدث روايتك هذه، حتى جعلتك تعيشها وأنت تكتبها، عن الحُب مثلاً ؟

ـ لا أظن أن هُناك شيء يخلوا من الحُب، في كل قصة هُناك شيئاً من الحُب، ولكن بقدراً مُختلف، هُناك قصةً تتخذ من الحُب عنواناً لها، وهُناك أُخرى تبطنه في أحد أحداثها، وهُناك من تجعل منه موضوعها الأول، في كل حكاية تُكتب،لا بد من أن تُكتب بحُب، حتى وإن لم تكن تتحدث عنه، للكاتب قصة حُب عظيمة بينه وبين ما يكتب، وللقارء قصة حُب عميقة بينه وبين ما يقراء.

ـ ولكن هُناك قصص خرافية، وأخرى خياليه، ولا تمُتْ للحُب بأي صلة، وأخرى وإن كانت عن الحُب فأنها أيضاً من خيال كاتبها، وليست حقيقيه؟

ـ لكل كاتب أسلوبه يا غزل.. لكل كاتب خيال.. فضاء يسبح فيه حتى يكتب، هُناك من يكتب قصصاً مرعبة، وأخر يكتب قصة خرافية لا وجود لها من الأساس، كل كاتب يسبح في البحر الذي يستطيع الغوص فيه، وأفضل الكُتاب في نظري من يجعل من القارء أن يغوص في البحر الذي إستخرج منه هو ما كتب، من يجعلك تعيش في أحداث قصته أو روايته،تعاشر شخصياتها، تبكي معهم حين جعلهم هو يبكون، وتضحك معهم حين يضحكون، تسافر معهم إلى كل الأماكن الموجودة في حياتهم، تموت، تغيب،تُجرح، وتفرح، تحتسي معهم قهوة الصباح، وتتذوق معهم لذت الشاي عند حلول المساء! هذا هو الكاتب الحقيقي يا غزل، لا بد أن يعيش خياله واقع حتى يستطيع إقناع نفسه قبل الأخرين بما كتب، هُناك حُب خفي بين الكاتب وما كتب، لا يشعر به سوى القارء الحقيقي؟! لا يهم أن تكون تلك القصص والحكايات التي نكتبها حقيقة، إنما يهمنا أن

نجعلها حقيقة، ونجعل الأخرين يعيشونها حين يقرؤنها، يهم أن نصدقها نحن، أن نؤمن بها حتى نجعل قارئها يصدقها.

ـ إذاً فأنك تؤمن بالحُب؟ وتصدق قصصه حتى وإن كانت غير واقعية، ويجب أن تكون مُحب قبل أن تكون كاتب؟

ـ هو كذلك، أو أشبه بذلك.

ـ هل تحب أيضاً، أن تعيش إحدى تلك القصص؟.. أن تكون بطلها، وأن يكون هُناك بطلةً لها في واقعك؟

ـ هُناك قصص جميعنا يحب أن يعيشها، وهُناك ما لا نرغب أن نعيشها يوماً.

أخذتِ ورقةً بيضاء من بين أوراقي، وسحبتِ القلم من يدي.. ثم أخذتِ تكتبي، رفعتِ عينيكِ إلى وجهي، وأنتِ تقولي:

ـ قررت أن أكون كاتبة، وستكون هذه قصتي الأولى، أتمنى أن أعيشها أكبرها ثم أحكيها لأحفادي يوماً ما، قررت أن أكون كاتبة عليٌ أن أخطف قلب البطل في حكايتي التي أكتبها، أن

أقول له أُحبك كل ما أمسكت القلم، ويقول لي أحبكِ قبل أن أضعه.

غمزتِ لي بإحدى عينيكِ، وإستأنفتِ الكتابه..

قلت لكِ: لا أظن هذا الأمر بجديداً عليكِ، ولكن أتمنى لكِ التوفيق.

هززتِ برأسكِ في لا مبالاة وأنت مستمرةً في الكتابة..

وبعد مرور دقائق، أصدرتِ تنهيدة من الأعماق،وكأنها كانت نقطة النهاية لما كتبتي،طويتِ الورقة بإعتناء، و وضعتها في يدي اليمنى،ثم فتحتِ كفيكِ أمام وجهي بطريقة فتح الكتب، وأنتِ تقولي،قبل أن تغادري في عجل:

ـ عليك قرأتها جيداً أيها الناقد، قبل أن تصدر إنتقادتك...أتمنى أن تقرأها بقلبك لا بعقلك.

تركتني ومضيتِ..وتركتِ ورقتكِ تنام في يدي، قبل أن أيقضُها.

كنت أفكر في ما رأته عيناي منقوشاً على كفيكِ، قبل أن أفتح تلك الورقة؟! ذلك القلب المرسوم ببراعة، الذي يحتضن بكل حُب أول حرفاً من "إسمي"، وكلمة أحبك تُكتب بحروف واضحة، في جانبه، بلغتين.. " الأنجليزية والعربية"؛

فتحت الورقة التي قلتِ لي بأنها تحمل بين طياتها أول قصة تكتبينها، وقبل أن أبدأ بقرأتها لفت إنتباهي عنوانها المكتوب بأحرف واضحة.. "أنت الأن تقرأ قصة حبي لك".. هكذا كان عنوان قصتكِ،أو ما أسميتها أنتِ قصة! إجتزت بنظري ذلك العنوان وبدأت في القرأه، وضعت كل تلك الأفكار جانباً، وغصت بين أسطركِ، بقأصى قواي لأقرأ..

.

.

. (كانت تجلس إلى جانبه، تنظر إليه في إهتمام، بينما إنشغل عنها بالعيش مع بطلةً وهيمةً حمقاء رسمها خياله، تسكن بين أسطر حكايةً نسج أحداثها، وحين علمت أنه لم يهتم بها، قررت أن تجعله يعيش معها في قصة حبها له، ومسارحته بما لم تستطيع قوله في وجهه، فأخذت قلمه من يده، وبدأت تكتب له كل ما في قلبها، تركت كل شيء وكتبت / مرحباً أيها القارء، هل تعلم أن ما تقرأه الأن ليست قصة؟ بل إنها رسالة إعتراف ممن كتبت، تخبرك فيها بما لم تستطيع قوله، تعترف لك بأنها تُحبك بكل ما أتاها الله من مشاعر حُب وأحاسيس صادقة، رسالةً تحمل إليك عمق عشقها لك، ومدى حبها لك، إنها تخبرك بها بأنها تتمنى بأن تكون البطلة لكل قصة تكتبها،وكل حكاية تعيشها، وعنوان لكل كتاب تقرأه، كما أنت بنسبة لها، بطل قصتها، وفارس أحلامها، وعنوان كتاب حياتها المنقوش على قلبها، إن كنت الأن تقرأ، فعليك أن تفهم كم هي مغرمة بك! إن هُناك

صوت عليك أن تسمعه، في كل جُملةً في ما كتبت هُناك حكاية حُب صامته، وهُناك بطلة تصرخ بكل ما أوتيت من قوة، وتقول لك: أنا أحبك أحبك أحبك.....!).

تلك هي القصة التي كتبتِها! إنها أجمل قصة قرأتها في حياتي، وأجمل مافيها نقطة النهاية.. قلب مرسوم بطريقةً فريدةٍ من نوعها، وفي وسطه كُتبت أخر جُملةٍ كُررت في نهاية القصة، إلى جانبها حرف (س)، وهو أول حرف من إسمي.

لم يدهشني ذلك،لأنني كنت أعلم جيداً بأني سأقراء أول رسالة حُب في حياتي، ولأنني كنت على يقين بأن بطلة القصة هي أنتِ، وأن ذلك الصوت هو صوتكِ، وأن البطل والمقصود هو أنا.

يالها من لحظةٍ لا تصف يا غزل؟! لا أستطيع أن أصف لكِ كيف كنت؟ وكيف عشت تلك اللحظة؟!

شعرت بشيء لم يسبق لي الشعور به قبل ذلك؟! هُناك مزيج من الأحاسيس المختلطة، هُناك كميةً من السعادة الهائلة، هُناك الكثير من الأمل المُفرط، من الخوف اللعين، من الشجاعة على المضي قُدماً، والأهم من ذلك هُناك حُب يسري بسرعةٍ في دمي! هُناك عشق عظيم يكسر كل قيود الأسر، يتخطى حدود الصمت ليصل بي إلى حدود السماء أو لا حدود؟!

يترفع هرمون السعادة إلى درجة أن لا يُقاس! فيختلط مع هرمون..(الإدرنالين).. ليعصف بقلبي الصغير الذي كبر بُحبكِ أنتِ، فينبُض لدرجة أني شعرت به يكسر قفصي الصدري ويخرج.. يقضف بعقلي إلى عالم لا يسكنه سواكِ، وتطير روحي إلى جنة هي أنتِ.

تُهت، وضِعت، خُلقت مرةً أُخرى شخصاً أخر في حياة أُخرى؟! أمسك في يدي ورقتكِ.. فلا أستطيع أن أضبط نفسي، لا أستطيع كبح ذلك المزيج الهائل، من الأحاسيس، لا أستطيع

التحكم بقلبي! كل ما قرأت حروفكِ.. لا شيء حولي سوى حُب، سعادة، أمل، عشق، لا شيء حولي سوى صوتكِ، صورتكِ، رائحتكِ!

أتخيل لحظة الوقوف أمام عينيكِ التي لا أستطيع الثبات أمامها.. أتخيل كيف يمكن أن نحتضن بعضنا بحُب؟! نبكي من كُثر السعادة، فيمسح كلٌ منا دموع الفرح الساقطة من على خد الأخر! ثم نقرر تركها خشية خسارتها.. ثم أشعر بالقلق؟! أفكر بالطريقة التي سأخبركِ بها بأني أحبكِ! هل أكتب لكِ؟ هل أحمل وردةً في يدي، وأركع أمامكِ وأنا أعترف لكِ بحبي؟! أظن هذا الأمر لا يناسب شخصي! هل أشتري بالون أحمر وأخر أصفر وأكتب عليهما أسمائنا وأهديكِ؟! أعرف أنكِ تعشقي البالون منذو كُنا طفلين، هل أتبع طريقتكِ؟ أكتب قصةً تحمل رسالة حبي

لكِ! لكن حبي لكِ أعظم من أن يُسطر على ورق! أثقل من أن تحمله الأوراق! أو تخطه الأقلام!

لم أشعر بأمي إلا وهي تخطف من حُضني مسودات روايتي، وكأنها تشن غضبها على الأوراق بدلاً عني.. ثم تخرج وهي تشن غارات الشتم على الأوراق؟!

لم أسمعها وهي تحدثني! لا بد أنها كانت تُريد مني شيء؟ لا بد وأنها كانت تُريد مني أن أجلب لها غرضًا ما؟ لكنني لم أسمعها! لم أشعر بأمي، ولا بأي شيء؟!

أخرج لأجد مسودات روايتي في التنور! أوراقي تلتهمُها النار! لقد رمتها أمي في التنور، وكأنها بذلك تُطفئ من ثورة غضبها، وكأنها تتخلص من شيء سرق ولدها منها؟.

مسكينة أمي يا غزل.. تظن أن الأوراق هي السبب ولا تعرف أن من سرق أبنها، وشغل تفكيره هو شيء لا يمكن أن تستعيده منه؟! هو أنتِ يا غزل.

وقفت على قرب من التنور.. وأنا أشاهد أوراقي تختفي، لتضيف لجزءٍ من الثانية من قوة النار.. يا الله لقد طارت أحرفي،وتبخرت كلماتي.. لقد ترمدت روايتي يا غزل!

كم من الأيام، والليالي قضيت في كتابتها؟ لقد كنت على وشك إكمالها..كنت أبتسم في سعادة، وأشعر بالفخر..كل ما أحملها بين يداي وأتخيلها كتاب موضوع على رفوف المكتبات، وعلى غلافه يُطبع أسمي! لكن لا بأس في ذلك يا غزل.. الأهم هو أنتِ ولا شيء أهم منكِ! نظرت لأجد ورقتكِ مازالت في يدي.. الحمدلله لأن أمي تركتها لي، الحمدلله لأنها لم تحرقها أيضاً.. فأخذتها وأخفيتها! ثم ذهبت لأمي كي أُراضيها.. خفت إن بقيت غاضبة عليّ، أن يغضب الله عليّ ويأخذكِ مني!

جئتها مبتسماً إبتسامة بلهاء! قبلت رأسها، ويديها..

ما ألطفها أمي وما أحنها يا غزل.. تغضب مني،لكنها لا تغضب عليّ! بقبلة رأس ترضى عني وتدعوا لي، لكنني كنت تلك المرة أكثر سذاجة، أكثر خفه؟! حتى أنها ضحكت على تصرفاتي!

رباه ماذا فعلتي بي يا غزل؟! ماذا فعل بي عشقكِ؟! لقد جعلني طفلاً وأنا في السادسة عشر من عمري! أصبحت في لحظةً ذو عقلٍ خفيف! تصرفاتي الشبابيه، الهادئة ، العميقة صارت تصرفات طفوليةً ساذجة؟!

مضت ثلاثة أيام وأنا على ذلك الحال! إلى أن جائت اللحظة الحاسمة المنتظرة من سنوات عديده! لحظة تحدث العشق في حكايتنا ياغزل.. لحظة صُراخ البطلين في الحكاية بصوت الحب.

* * *

- رُب ليلةً خيراً من ألف عام -

كانت ليلةً من ليالي إكتمال القمر..

كانت الأجواء هادئه، السماء صافيه، وضوء القمر لا يحجبه عن الأرض شيئاً! إختفت أغلب النجوم، تاركةً القمر وحده من يُضيء السماء والأرض.

وقتها جلسنا بمفردُنا أنا وأنتِ والقمر! بعد أن تركّت أختي لنا المجال، وكأنها علمت أن هُناك حكاية حُب يجب أن تبدأ في هذه الليلة! حاولت تشجيع نفسي، وأنا أُردد في ذاتي: حان الأن موعد سقوط الصمت! حان الأن موعد إذآن الحُب!

نظرت إليكِ، وتمعنت النظر في عينيكِ، لأجدها تُحدق بحُب في القمر! كانت تحتضنه، ليسكن في وسطها، ليُزيل اللون الأسود، ويسكن في مكانه!

بقيت أنظر إليها في صمت، سافرت هي في ضوء القمر، وسافرت أنا فيها لأجد القمر!

لا حظتِ بعد دقائق أنني أنظر إليكِ، ألتفتِ نحوي، وأنتِ تسأليني:

ـ مابك؟

ـ لا شيء!

ـ لما تنظُر إلي؟ هل هُناك شيء؟

ـ لا أنا أنظُر إلى القمر.

ضحكتِ وقتها بسخرية وأنتِ تقولي:

ـ القمر! وهل أنا جميلةً لهذه الدرجة؟!

ـ لا.. أنا لم أقصدكِ.

ـ آه حقاً! إذاً كان عليك النظر إلى السماء، وليس إلى وجهي، يا قمر أنت؟!

ـ لا داعي لذلك، لأنني وجدته، أمامي؟! رأيته في عينيكِ!

ـ وهل عيناي مرآة، حتى عكست لك صورة القمر؟

ـ هل كان علّي تصويره حتى تُصدقيني؟

ـ لا أنا أعلم أن عيناي ساحرتان، وأثق بما يمكنها فعله!

ـ وهل تعلمي ماذا فعلت بي؟ وكيف أسحرتني؟

ـ ماذا فعلت بك؟

ـ لقد جعلتني غريقاً فيها، كصاحبتها التي أسرتني، وأخذت قلبي بين يديها!

ـ إن كنت خائف من الغرق؟ فعليك أن لا تركب الأمواج.

ـ أنا لا أخاف ركوب أمواجكِ، وأحُب كثيراً غرقي في عينيكِ.

ـ هل تعلم منذو متى وأنا أعاني الغرق فيك بمفردي؟

ـ أعلم، وأنا الأن أريد أن نُمسك ببعضنا، حتى نسبح معاً نحو بر الأمان، أو نغرق معاً في نفس البحر.

ـ وهذا ما أردته وأريده.

إبتسمتِ في خجل، ورفعتِ عينيكِ نحو السماء مجدداً.. سألتكِ بعد لحظة صمت:

ـ هل حقاً تعشقينني، لهذا القدر؟

أمسكتِ يدي وأنتِ تقولي:

ـ أُنظر إلى عيناي جيداً، ماذا ترى فيها ؟

ـ القمر! لا أرى فيها سوى القمر ياغزل!

ـ أُقسم لك أن هذا القمر هو أنت، وأن الضوء الأبيض الذي يُحيط به، هو حُبك أنت، وأن هتان العينان ما كانتا ساحرتان لو لم تسحرها أنت!

صَمت! ولم أعد أملك القدرة على الكلام، رُبطت لساني، وضاع تعبيري، وسقطت حروفي، ولم تُسعفني لُغتي،لم يعد صدري يتسع لقلبي، لم أعد قادراً على ضبط نفسي! لكن حاولت أن أجعل من التحديق بكِ لغةً أُعبر فيها عما أشعر به.

عاودتي النظر نحو القمر، وكأنكِ تُريدي أن ترحلي بي إليه؟!

ـ هل تعلم بأنني أحُب القمر، وأتمنى الوصول إليه؟

سألتكِ: أليس غريباً بأنكِ تُحبي كل شيئًا أُحبه؟!

ـ أعرف جيداً بأنك تُحبه أكثر مني، ولهذا أحببته! حين نُحب شخصاً ما، فإنا نُحب كل ما يُحبه، ونكره كل يكرهه.

ـ ماذا يعني لكِ القمر ياغزل؟

ـ يعني أنت.

ـ هذا فقط ما يعنيه لكِ؟

ـ ماذا أُريد أكثر؟

ـ هل تعرفي ماذا يعني لي القمر؟

هززت رأسكِ نافيه..

ـ إنه يعني لي.. السفر إلى البعيد.. يعني العودة في الزمن، يعني التفكير في المستقبل، يعني جمال الحاضر، وقوة الماضي، وأحلام كثيرة.. كما أنه أيضاً يأخذني نحو حضارات سادت ثُم بادت! نحو الشرق والحضارات الشرقية! أساطير الهند، والصين، وحضارات الفُرس والعرب! إنه يُشعرني وكأنما أصنع المجد،

وأعيش الحاضر! إنه يمنحني الشجاعة، والسعادة! فقط بمجرد النظر إليه أنسى كل الأحزان.

ـ هل أكملت قصة القمر؟

ـ لا بل هُناك الكثير من القصص عن القمر، سأحكيها لكِ في ليلة مقمرةً أخرى.

ـ هذا جيد، لإنني يجب أن أعود إلى البيت، قبل أن يسمع القمر صوت صُراخي.

ـ إن حدث وحصل ذلك، فإن القمر الساكن في عينيكِ سينتقم لكِ.

ـ سنرى ذلك الوقت يكشف كل شيء، والأيام لا تخبئ أحد.

ـ سأفعل! أُقسم بأني سأفعل، إياكِ وأن تستخفي بي.

ـ أُحبك أيُها الساكن في عيناي.

ـ وأنا أحبكِ، وأحب عينيكِ.

تركتني ومضيتِ إلى بيتكِ.. تركتني.. وتركتي في داخلي أنهاراً تفيض من السعادة، وعلى لساني الكثير من الجُمل التي وددت قولها لكِ؟!

رأحتكِ تملأ روحي بشذاها، ويدي على وضع يديكِ لها.

تركتني أُساهر القمر.. الذي شعرت للحظة، وأنا أنظر إليه أنهُ يُضيء بطريقةٍ غريبة! وكأنه بذلك يريد أوهامي بأني في حُلم.. هو أكثر شيء بعد الله يعلمه.

شككت للحظة، أني كنت في الحُلم المُعتاد، وأن ذلك خيال؟!

لكن كل شيئاً حولي،يثبت لي أنني أعيش الحقيقة! كل شيء هُنا يُخبرني أنكِ كنتِ في جانبي، وأنكِ أمسكتِ يدي، وقلتِ ما قلتِ.. وقلت أنا ما قلت.

كلمة أُحبك.. لا زالت تُكرهبُني! لازال صداها يرن في أُذناي! نعم.. لقد سمعتها ولأول مرة منكِ! ولقد قُلتها لكِ أيضاً! كل شيء حقيقة وليس خيال.

القمر يتسلق درجات السماء للأعلى، ليشهد أن ما حصل أجمل حقيقة.. صوت الأغنية الصاعد من سماعة هتافي! الأغنية نفسها التي كانت؟!

هاهي.. (ميادة الحناوي).. تُنشهد بصوتٍ عالي، بأحساس مُرهف، على ألحان أعظم.. (موسيقارٍ عربي).. وهي تُغني بالكنة..(مصريه)..

أنا بعشقك أنا!..

أنا كلي لك!..

الماضي لك!..

وبكره لك!..

وبعده لك!..

يامن ملك روحي بهواه؟!

العمر لك طول الحياه!..

عشقت هذه الأغنية ياغزل.. لأنها تُلخص حالتي في كلماتها! وعشقت صوت (ميادة) لأنها كانت فنانتُكِ المُفضلة.

أمضيت كل الليل وأنا ساهراً! أحلم فيما بعد.. وأفكر بما قبل! والقمر يسبح في رحم الفضاء.. أعددت هاتفي على تكرار نفس الأغنية؟! حتى نفاذ شحنه، وبقيت أتأمل القمر حتى أفل.. وما فارقني لحظةً خيالكِ ياغزل.. وما كان خيالكِ أنذاك إلا حقيقةً، وما كانت تلك الليلة إلا أجمل ليالي حكايتنا، وما كانت أحداثها إلا واقع ويقين، وماكانت تلك اللحظات اليسيرة التي جلسنا فيها معاً، إلا لحظاتً لسقوط الصمت، ولأذآن وتكبير الحُب؟! لتغيب لغة الصمت من بقية فصول حكاياتنا.. وتشرع أقلام الغرام بكتابة بقية الأحداث، دون أن يجف حبر المشاعر.

ليقول البطل لحبيبته البطله، أُحبكِ متى أراد.. وكذلك تفعل هي.. دون خوفاً أن تقف الحكاية عند نقطة نهاية.

* * *

وَقد كنت أوقات التزاورِ في الشتا
أبيتُ على جمرٍ من الشوق مُحرقِ

فَكيفَ وقد أمسيت في حال قطعة
لَقد عجّل المقدور ما كنت أتّقي

(ولادة بنتُ المستكفي)

رائعةً أنتِ ياغزل!..

رائعةً كقصيدةً غزلية (لإمراؤ القيس)، أو كبعض أبيات (ولادة بنتُ المُستكفي)؟!

وعذبةً كآيةٍ ذُكرت فيها الجنة، أو حديثاً نبوياً شريف!

جميلةً أنتِ ياغزل!..

بل أنتِ آيةً في الجمال، كل شيئاً فيكِ جميل، وكل جزءٍ منكِ له جمال لا يضاها بجماليات هذا الكون، وكأن الله قد خلقكِ فتنة لبني البشر، وزينةً تزينة بها دُنيتي! جميلةً بكل تفاصيلكِ حتى أدق تفاصيلكِ! أصغر تفاصيلكِ لها جمالاً لا يضاهيه جمال ياغزل؟!

كم عشقت تلك العينين، وتلك الخدين، وتلك الملامح، وذلك الوجه، وتلك الرائحه التي تملأ روحي، وتنعشني!

لا أظن أبداً أن هُناك شيء يُزينكِ.. لإنكِ أنتِ أساساً من تُزيني كل شيء!

وليس هُناك عِطراً يُقارن بعِطر رائحتكِ أنتِ ياغزل.

أعتز بي وأفخر كثيراً لأنني حظيت بقلب فتاة مثلك! بروعتها، بتميزها، بجمالها، بذكائها، بروحها، بعزتها، بقوتها، بأنوثتها وحنيتها.. بكل شيئًا فيها، وكل شيء فيها، حكاية عنوانها أنتِ! ولا شيء كما أنتِ.. لإنكِ حكايةً تُخفي بين طياتها ألف حكاية، وآيةً من أيآت الله تعالى! أنتِ غزل.. وأنتِ حكايةً لا تنتهي! جميلةً وجمالكِ آيةٍ يسهل قرأتها، لكن يصعُب تفسيرها، ياغزل.. يصعُب كثيراً.

مضت أيام كثيره.. أيام وليالي الحُب، الذي يملأ أقلام القدر، ليكتب المزيد من الأحداث من حكايتنا.. ليمنحنا نحن بطلين الحكاية، حريةً مُطلقة في العيش تحت قانون الغرام..

لقد إلتقياء (آدم و حواء) بعد بحثاً طويل.. حين أنزلهما الله في سعة الإرض وكبرها.. فأمسك كلٍ منهما بيد الأخر وأكمالا طريقهما معاً.. وكذا نحن ياغزل..

لقد غُصنا معاً في مُحيط مجهول النهاية، وجذفنا معاً بحثاً عن ميناءً منشود، نحو بر الأمان، بعد أن كان كلً منا يبحث عن يداً يمسك بها؟!

نفضنا غُبار الخوف والكائبة عن أرواحنا، ويدينا الطواقتان إلى اللقاء المُنتظر، ومشينا معاً يداً بيد، كي نجتاز معاً كل العقبات، ونحنُ نحاول أن نجتاز الغرق ونُرسي بسفينة عشقنا على بر الأمان.

يوم .. إسبوع.. شهراً.. ثم عام! ونحن نمسك ونتمسك ببعضنا خشية السقوط! ثم تمضي بنا الأيام ونحنُ نشرب من نفس الكأس، وننتشي في سكرت الغرام، ونتراقص على نغم العشق

دون التفكير متى سيستفيق السكران من سكرته؟ أو يسقط مغشياً عليه؟!

لكنني رُغم سكرت الغرام ونشوته، كنت دائماً أخشى السقوط ياغزل.. أخشى لحظة سقوط مفاجئة! ولأني كنت أعرف تماماً أن أروع قصص الغرام لا تكتمل، بقيت مستيقظً رُغم سكرتنا لعامين في حانات الحُب! خشية كابوسً لا ينتهي.. كنت أخاف فراقكِ منذو الوهلة الأولى ياغزل.. أخشى لحظة فراق، تشكل نقطة نهاية لحكايتنا معاً.

سألتكِ ذات مرة: ألا تخشين ياغزل؟

نظرتي ورسمتِ على محياكِ إبتسامةً أعرف تماماً أنها كانت عنواناً للخوف! ثم قلتِ لي:

ـ مما علّي أن أخشى، وأنت بجانبي؟

ـ ألا تخشين هذا الحُب ياغزل؟

ـ تعرفني لا أُحب الألغاز! لذا وضح مغزاك من الكلام.

ـ أنا أخاف ياغزل.. أنا خائف!

ـ مما تخاف؟ ومما أنت خائف؟

ـ خائف من الحُب! أخاف أن ينتهي هذا فجأةً؟

ـ تخاف من حُبك لي إذاً؟!

ـ لا بل أخاف فراقكِ ياغزل.. أخاف التفكير في فقدناكِ.

ـ الحُب ليس قراراً نتخذه يا سام.. الحُب أقدار ياحبيبي، والأقدار لا تُناقش! أما الفراق فهو قرار، إما أن نتخذه بكامل إرادتنا، أو رُغماً عنا.. لذا لا تخشى شيئًا مُحال حدوثة يا سلطاني.

ـ المُحال ياغزل ليس الفراق، المُحال حقاً، هو كيف لي أن أحيا بعد الفراق؟

ـ ما بالك يا سام؟.. ما هذا الفأل السيء والهراء الذي تقوله، ما بالك الليلة؟!

ـ أخاف ياغزل.. أخاف أن أفترق عنكِ، أو أن يقوم القدر بتفريقنا! أعلم أن الفراق قرار، وأعلم أننا لن نفكر به لحظةً في

علاقتنا، ولهذا أنا خائف، أخشى أن يُرغمنا القدر على إتخاذه ياغزل.. ألم تخافي أنتِ ذلك ألم تفكري للحظةً به؟

قلتِ بضجر، وفي صوتكِ غصةً، ونبرت خوف، وفي عيناكِ دمعةً تحاولي إخفائها:

ـ لا.. لم أفكر، ولا أريد أن أفكر! طوال ما أنت بجانبي وأنا بجانبك، فأنني في أمان، ولا أخاف، وأتمنى أن تكون مثلي حيال هذا الأمر ياسام.

نظرت إليكِ، وحاولت أن أبلع غصة التفكير في أمر الفراق، ثم إبتسمت وقلت لكِ:

ـ حسناً ياقمري أنتِ أنسي هذا الأمر، نحن خُلقنا معاً لنحيا معاً، ونموت معاً.

إبتسمتِ وأنتِ تُكرري بعدي تلك الجُمل، ثم أمسكتِ يدي بقوة، وقبلتها لأول مرة، وأنتِ تقولي:

ـ أنت دائماً معي، وأنا دائماً معك، سنبقى معاً وإن فرقنا القدر، فالقمر يشهد بأننا دائماً سنبقى معاً.

صمتِ لبعض الوقت وكأنكِ تحاولي الأستفاقة من كابوس مُزعج، وإستأنفتِ قائلة:

ـ عِدني أن لا تتحدث عن هذا الأمر مرةً أخرى.

لكنني خُفت أن أعدكِ ياغزل، خُفت أن لا أفي بوعدي هذا إن وعدتكِ، فهززت رأسي، وحولت النقاش نحو مساراً آخر.

لتستمر سكرتنا في الغرام.. وتزداد أحداث حكايتنا أكثر، تُقلب فصلاً بعد فصل؟! ونشوة العشق حبكتها.

* * *

ـ الفرُاق ليس بمُحال.. المُحال حقاً كيف لي
أن أحيا بعد الفرُاق؟! ـ

الحُب ياغزل..

هو حياة! حياة لا يمكن للجميع أن يعيشها بسعادة، ولكن يمكن للجميع تجربتها!

الخوف، والقلق، الغيرة، والشك، الثقة، والتضحية، أمراً ضروري في الحُب ياغزل.. لا يمكن للعشاق تفاديها.

حين نعشق فأنه يجب علينا أن نُضحي من أجل من نعشق!

تتملكنا تلك الأحاسيس اللعينة؟!

نشعر بالغيرة! وتساورنا الظنون، والشكوك، والحماقة أحياناً حيال من نُحب؟!

ينتابنا القلق، ويتملكنا ذاك الشعور المريب بالخوف على من نُحب، وقد نخاف سيف الفراق القاطع الغادر والقاتل! الذي يسلب منا من نُحب.

المجتمع ياغزل..

له تأثيرات سلبية على العشق، والعاشق.

نظرةً عدوانية يتبعها هذا المجتمع.. تكمن عتمة لا نور فيها للحُب رغم سيادته؟!

قلوب لينها قسوةً أشدُّ من الحجارة، وعقول مُغلقةً رُغم نور الدين والهداية؟!

في مُجتمعنا هذا.. هوايتهم المُفضلة هي التفريق والتبعيد بين الأحباب والعشاق، وكأن الحُب أمراً مُحرماً من السماء! منافياً لأخلاق أهل الأرض.

يفرقون ويباعدون بين العشاق، ويصنعون لهم وبينهم الكثير من الحواجز والمسافات تحت مسمى العادات والتقاليد، وهم يتهمون الدين والشرع بذنبهم! ولا يعلمون أن الدين والشرع أحب العشاق وأنصفهم! نسوا أن الشرع والدين لم يُحرم العشق، ولم يكن هُناك دليلاً قاطعاً، مانعاً أو مُحرماً للعشق، ومفرقاً للعشاق! بل أمرا ونصح بأنه لم يرى للمتحابين غير الإجتماع تحت ظله!

ظنهم حين يفرقون بين عاشقين أنهم يطبقوا العدالة والشرع، ويتنزهون عن رذائل الأخلاق، ويرفعون من عزة الدين؟!

لكنهم مخطئون ياغزل..

لأن عاداتهم، وتقاليدهم السوداوية هي أكبر الذنوب، وأرذل الأخلاق! هُم يدنسوا الدين بتلك الأفكار التي يطبقونها لغياتٍ شيطانية هُم أنفسهم لا يعلموا بها؟!

يظنون العشق جريمةً يجب الحكم والعقاب عليها، والقصاص منها؟!

وهذا ما كنت أخشاه ياغزل..

أن يحكموا علينا بالتفريق بيننا، والنيل من حُبنا تحت مسمى العادات والتقاليد.. كنت أخاف أن يدخل موكب عاداتهم وتقاليدهم، لتشييع جنازة العشق في حكاياتنا التي كان يجب أن يحضر فيها موكب العادات، والتقاليد بثوب الزفاف.

لكل حكايةً نهاية ياغزل..

لكل قصةٍ هُناك نقطة تُضع في أخر السطر لتقفل، وتنهي ويقف عندها كل شيء!

لكن حكايتنا معاً لم تكن كذلك.. حكايتنا ليس لها نهاية.. لم تُضع نقطة نهاية لقصتنا؟!

هُناك الكثير من النقاط.. وعلامات،لا نهاية لها من الأستفهام و الأستعجاب! وكأن هُناك شيئاً لم يُكتب بعد.. وكأن القدر قد تعب من كتابة حكايتنا فتوقف ليستريح ثم يكمل؟..

هُناك شيئاً ناقصً في هذه الحكاية؟ لا بد أن يكتمل بشكلٍ أو بأخر.

* * *

- بين الموت و الحياة خطوة و احدة..

تسمى: " الفُراق "-

لقد كبُرنا ياغزل..

وكبرت حكايتنا.. وصلنا عمر الرُشد.. أصبحنا ناضجين بما فيه الكفاية، وأكملنا الثامنة عشر من عمرنا، ومن عمر الحكاية! وصلنا للسن القانونية، وتخرجنا في عاماً واحد من مرحلة الثانوية.. أكملنا عامين من الحُب، من العيش تحت غيم الغرام الذي يُهطل علينا مشاعر الحُب والدفئ والأمان، وأصبحنا حيث كنا نريد أن نصل بعد أن نصل؟

أتذكر أننا حلمنا كثيراً بالوصول إلى هذه المرحلة من العُمر.. كي نحقق بعدها أحلامنا.. نُكمل دراستنا.. أن أصبح طالباً في (كلية الأدآب).. وتصبحي طالبةً في كلية الأعلام! أن نتزوج وننجب أطفالاً يحملن صفة الجمال والذكاء منكِ، وصفة الغرور والكبرياء مني! حلمنا كثيراً ولكن عند الوصول إليها تبخرت كل أحلامنا توقفت أقلام القدر عن الأستمرار في كاتبة بقية فصول حكايتنا!

ضاعت أُمنياتنا وتمزقت أوراقنا، وإنتهى كل شيء خلال أيام قليلة.

أتذكر بداية النهاية لهذه الحكاية..

بادرة الفاجعة، والليلة المشؤمة! كنت عائداً من السوق بعد يوماً طويل من العمل.. كانت الساعة السادسة مساءً ؟!

إقتربت من البيت؟ وما إن إقتربت حتى لفتت إنتباهي سيارةً تقف عند باب بيتكِ؟. لكنني لم أفكر بها كثيراً.. كنت أعرف أن زوار بيتكِ كُثر، وأن علاقات عائلتكِ وأقاربها لا يحصيهم عدد!..

أتذكر أنني قلت لكِ هذا ذات مرةً.. وقتها ضحكتِ كثيراً.. قُلت مُحدثاً نفسي وأنا أُناظر السيارة: كان الله في عونكِ ياغزل.. كان الله في عونكِ محبوبتي.. لتحملي عبئ ضيوف قد لا ترغبي بهم.

دخلت بيتي دون أن أفكر مرتين بأمر تلك السيارة، والزوار، والسبب وراء الزيارة؟!

وفي أول ساعات الليل، سمعت صوت مُحرك السيارة، فعلمت أنهم الزوار قد رحلوا.. لكن الغصة التي تملكتني بعد ذلك هي سماعي لصوتكِ المختلط معا صوت والدكِ العالي، والذي يدل على أمراً لا يُحمد عُقباه؟!

خشيت كثيراً عليكِ..كنت أعرف أن والدكِ رجل غير مُتساهل في عائلته، ومتعصب تقوده عصبيته إلى التوحش أحياناً، وهذا ماخشيته، خيشت أن يتوحش عليكِ، ويفرغ طاقة عصبيته فيكِ! أصابني إنقباض مُفاجئ في صدري، وأنا أفكر بكِ! أيقضني صوت هشام المُتعالي من خلف باب البيت.. فخرجت إليه.

وأنتِ أكثر من يعرف هشام! ويعرف ماذا يعني لي ياغزل؟! هشام أحد أبناء الحي.. صديق طفولتي وبمثابة أخي وسنداً لي..

هو الصديق الوحيد الذي يتفهمني ويسمعني ويقف دائماً في جانبي.. كما أنه يعرف حكايتنا جيداً.

كنا قد إتفقنا في أخر ساعات النهار، أن نسهر معاً في مجلس بيته ليلاً، ولا أخفيكِ الأمر أنني كنت بحاجةً ماسة للجلوس معه.. فلن أن أجد أحسن من هشام يسمعني وينزع ضيقي. لكنه كان غريب التصرفات تلك الليلة وعلى غير طبيعتة وأصدقكِ القول أنها المرة الأولى والأخيرة التي كرهته فيها؟! نظرت إليه ونحن في طريقنا نحو بيته، لم يكن بيته ببعيداً عن بيتي! كان صامتاً، والصمت أمراً مُتناقض مع هشام! فهو سيد الثرثرة، والتقهقه، والمزاح، وبالذات حين نكون معاً، وبمفردنا فأنه يُذكرني بتلك الجُملة التي تُقال في أحد فواصل-سبيستون قناة الطفولة- "كوميديا الكوكب الضاحك"! وهشام كان الكوكب الضاحك ياغزل.. وليس من طبعة الصمت والتوقف عن صانعة النكت والتنكيت والضحك.

كان يشغلني التفكير بكِ.. ويضيق صدري حيال أمركِ.. لكن أمر هشام لليتها زادني فوق الطين بلة كما يُقال ياغزل.. تفحصته جيداً وضعت يدي على جبينة! لم يخطر في عقلي وقتها سوى أنه مريض؟!

نظرا إلي وقال: مابك؟

قلت: أنا أم أنت؟

ـ هل تراني أتعرق من شدة الحُمى حتى تضع يدك على جبيني؟

ـ لا.. ولكن ماخُبطك يارجل؟

ـ طوال عمرك تُحب المتاهات والألغاز! لم أفهم مغزاك من هذا؟

حاولت أن أتصنع إبتسامة رُغم مابي من ضيق!

وقلت له: أخبرني مالذي حدث؟ هل تغير ما كان الكوكب؟ حتى أراك بهذا الهدوء والصمت!

ـ لست على يقين، ولكن قد يحدث ذلك يا أخي.. قد يختفي قمرك وتغيب شمسك، وهذا سوف يغير مكان كل الكواكب!

ـ لا أنت لست على ما يرام ياصديقي؟هُناك شيء.. أخبرني.. هيا تحدث قُل ما تود قوله، ولكن بوضوح؟

حينها كنا قد وصلنا إلى باب بيته.. فتح الباب ودلفنا إلى المجلس، وبعد أن جلسنا.. نظرا هشام إلي بطريقة غريبة وقال:

ـ هل صحيحاً ما سمعت؟

ـ وماذا سمعت؟

ـ عن موضوع الخطُوبه؟

ـ هشام.. أنا لست في إختبار حتى أتكلف بأكمال الفرغات.. أي خطُوبةٍ، وأي هُراءً هذا؟

ـ خطُوبة غزل؟!

لا أعلم ماذا حدث لي ياغزل؟ لكنني دخلت في نوبة ضحك عنيفة! وأنا أشعر أن قلبي ينقبض وصدري يضيق أكثر.. وأكثر!

كنت أضحك بهستيرية، وأذكر أنني سمعت هشام وهو يقول: لُطفك يا الله، لقد طار عقل صديقي.. لقد لذُعت فيوزات عقلة.

لكن حالما عُدت لحالتي، نظرت إليه وقلت:

ـ ألم نتفق يا هشام أن لا تُدخل غزل في عالم التنكيت تبعُك، ومزاحك الثقيل.. أنت تعلم أنني لا أقبل ولا أتقبل ذلك.

ـ وهل هذه مزحة يُمزح بها؟ هل هذه نكتةً يُضحك عليها؟

ـ وما هذا الهُراء الذي تقوله؟

ـ أقول ما سمعت.. إني جاد فيما قلت يا سام.

ـ حسناً أكمل الفراغ..

ـ ألم يكن هُناك زوار لبيت غزل الليلة؟

ـ نعم كان هُناك، ورحلوا قبل مجيئك إلي بالحظات!

ـ سمعت أنهم لم يكونوا مُجرد زوار.. أي لم تكن زيارة عادية؟!

ـ وماذا بعد؟.. وماذا كانوا يا هشام؟ فضائيون مثلاً؟

ـ من المفترض أن تخبرني أنت عن الموضوع.. لأنك أقرب إليهم.. بينك وبينهم جدارٌ وباب، والأخبار تصلك قبل الجميع.

ـ عن أي موضوع تريد مني أن أخبرك؟

ـ موضوع الخطوبة؟

ـ تُعيدني إلى البداية وكأننا في دائرة.. إما أن تتحدث بوضوح أو لا تتحدث!

ـ سمعت أنهم تقدموا لخطبة غزل لأحد أبنائهم، وبما أنهم أقارب فقد وافقت عائلتها.. هذا ما سمعت، وهذا ما أردت معرفته أيضاً.

في بداية الأمر ضحكت! ثم غضبت! ظننتُ هشاماً يُمازحني ياغزل.. ظننت أنه يخترع نكتةً كعادته لنضحك أو ليضحك عليّ.. نظرت إليه تفحصت ملامحه؟! فلَم أجد شيئاً في ملامحه يُشي لي أنه كان يمزح كعادته، أو أنه أراد تعصيبي ليضحك! هشام يعرفني جيداً، ويعرف بأنكِ نُقطة ضعفي الوحيدة ياغزل..

لكن ملامحه مُختلفه، عينيه طريقة جلوسه، نظراته إلي، كل شيئاً فيه يُشي ويثبت لي جدية قوله.. أنا أحفظه جيداً، وأعرفه حين يكون جاد رغم قلة جديدته في الأحاديث.. إنه صديقي منذو العاشرة من العمر، وأنا أحفظه عن ظهر قلب، كما يحفظني وأكثر.. وأعلم تماماً متى يصبح جاداً؟ ومتى يكون مازحاً.. ياغزل؟!

وقتها ضاقت الأرض علّي بما رحبُت! تذكرت صوتكِ، والشجار الذي كان لكِ مع والدكِ قبل خروجي من البيت.. زادت كُربتي وإنقباض صدري.. شعرت وكأن هشاماً رماني بسهمٍ سامٍ قاتل يقتلني ببُطئ رويداً.. رويداً! أختنق وكأنني في إحتضار! ألفظ أنفاسي الأخيرة! إستفقت بعد لحظات.. على صوت هشام قائلاً:

_ مابك سكت؟

ـ لا شيء!

ـ ظننتُك تعرف بهذا يا سام.. صدقني وددت أن أقف بجانبك، وإلا ما فتحت فمي بكلمة.

ـ لا عليك يا هشام.. لا بأس بما فعلت.. البأس بما أفعل أنا؟!

ـ لا تخف يا أخي، وهدأ من روعك.. أنت تعرف غزل.. وأنا أثق أنها سترفض.. هي لك وأنت لها.

نسيت ياغزل.. نسيت بأني أرتدي ساعة؟!

فسألت هشام: كم الساعة الأن؟

نظارني هشام، وكأنه يقول: لي ساعتك في يدك يا غبي!

ثم راعاني وقال: الساعة العاشرة يا سام.

ـ حسناً.. علّي العودة للبيت.

قلت ذلك وأنا أنهض!..

ـ ما زال الوقت مبكراً يا سام!

ـ والدي ليس في البيت، ويجب علّي العودة.

لم يظغط هشام علّي أكثر.. رافقني في طريق العودة، وكأنه يخاف على صديقة أن يظل الطريق ياغزل!

وصلت البيت، فتحت الباب.. رأيت والدتي، وشقيقتي يجلسنا في هدوءٍ تام! توجهت أنظارهن نحوي بطريقةً مرهبة! في صمت! عيناهن تُشي لي بأنهن كانتا في إنتظاري.. هُناك عاصفةً ما ستقتلعني من جذوري بعد لحظات؟

خوف.. قلق.. إرتباك.. شفقة! في أفواههن الكثير من الكلام القاتل؟!

وقفت قُرب ذلك الباب الأصفر.. لم يعد أصفر ياغزل.. أصبح مهتري أكلهُ، وأضفا على لونه الصدى ياغزل، حاولت التصنُت.. علًّي أن أسمع صوتكِ العذب، ليُصحيني من هذا الكابوس المزعج! عسى أن تُهب ريحكِ لتنفض عني هذا الغبار الذي يكتمُ أنفاسي! لكنني لم أحظى بشيء ياغزل؟! هُناك هدوءٍ

تام يستحوذ على المكان والزمان كمراسم عزاء! صمت مُخيف مريب كصمت وسكون المقابر! تباً ماهذه الليلة الكئيبة ياغزل؟! لقد طالت وطالت أكثر مما ينبغي.. كل شيئًا فيها مُخيف كل شيئًا فيها صامت، وساكن عدى أنا ياغزل.. فأنا كطفلٍ يبحث عن أمه في هذا الظلام، ينادي، يصرُخ، يبكي، وما من أحد يُمسك بيده! كنت ليلتها طفلاً يتيم فقد أمه دون أن يعلم.

مضت تلك الليلة دون أن أعرف كيف مضت؟.. وقُلبت معها صفحةً سوداء من صفحات الحكاية.

* * *

قد جفت الأزهار فيك
وتبعثرت فوق أكف القدر ..

(فاروق جويدة)

مالذي يحدث ياغزل؟!

هل أصبحت صفحات الحكاية سوداء؟!

هل إنقطع صوت الحُب؟!

هل إتجهت حكاياتنا نحو منحدراً عنيف؟!

هل بدأت تسلك أسلوب أخر ليس له معنى؟!

هل مّل القدر من كتابة هذا الحكاية، فتوقف عن كتابتها دون شيئًا يُذكر..

دون أن يضع نُقطةً في أخر السطر؟!

صفحات سوداء، لا حروف فيها.. تاه بطل الحكاية في دوامة الضياع، وإختفت البطلة فجأةً في عتمة لا نور فيها؟!

أُغرقت سفينة العشق بالقرب من ميناؤُها المنشود.. وفقد الربان السيطرة عليها.. لا يعلم هل يتمسك بحبل النجاة الذي لا وجود له أساساً؟ أم يبحث عن يد معشوقته لينقضها من الغرق؟

لا طاقة له أن يفعل أي شيء دون أن يرى الشمس.. أو يشتم رائحة الزهور، أو يسمع صوت الغزل.

يومين ياغزل.. يومين لن أسمع فيها صوتكِ العذب.. ولم أرى فيها ضياءُ وجهكِ، أو أشتم فيها رأحتكِ.

رباه مالذي يحدث ياغزل؟!

أين أنتِ محبوبتي؟

مُدي إلي يدكِ.. أسمعيني صوتكِ.. أنقضيني من هذا الظلام من هذا التوه.. من هذا الخراب.. إرمي إلي حبل النجاة كي نحيا معاً.

أمسكِ يدي لنجتاز.. هذه العاصفة.. لنكمل الطريق، هانحن قاب قوسين أو أدنى من الوصول إلى مرادنا.. من العيش معاً وإلى الأبد.. من تحقيق كل الأحلام! قفي ياغزل.. أخبريني أننا لن نستسلم، قولي شيئًا أو لا تقولي، الأهم أن تكوني حيث يجب أن نكون.. نحن أقوى من أن نستسلم.. عشقنا أعمق من أن

تقتلعة الراياح! سفينتُنا أمُتن من أن تغُرق! أوراقنا لن تُحرق بعد، حكايتنا أفضل من أن تُرمى في سلة المهملات.

إنهضي ياغزل.. كي نكمل الطريق.. تعالي لتشرق شمس حُبنا، وتُذيب هذا الجليد! أنتفضي ياعنديتي لتُمطر غيوم الغرام وتُطفئ هذه الشرارة! قفي يا سلطانتي لنخوض معاً هذه المعركة، لننتصر ونرفع راية عشقنا فوق قمة الغرام، لنتوج حكايتنا بتاج السعادة.

طوال يومين ياغزل لم أراكِ، أو أسمع صوتكِ! كل ماكنت أسمعه أنذاك، هي تلك الكلمات اللعينة ذات الصدى المزعج.. تعويذةً شيطانيه يُرددها الجميع بسعادةٍ أولا سعادة! وأخشاها أنا بكلا الحالتين! فكم هي مزعجة تلك الكلمات؟!

ماذا تعني هذه الجُمله اللعينة؟

ماذا يعني غزل خُطبة؟

يعني أن كل شيئًا بي يحترق!

لا يمكن أن أسمح بهذا أن يحدث.. لا يمكن أن أتركهم يسرقوكِ مني.. سأحارب من أجل سعادتي، وإن كانت تلك أنانية.

هكذا كنت ياغزل؟!

رُغم الثقب الذي بي والخوف.. رُغم تزعزع كياني، أكابر وأدعي القوة! رُغم أن صمتكِ/ غيابكِ يضعفني وضعفي ظاهراً ياغزل.

كل ما كنت أطمح إليه أنذاك هو لقائك؟! أن أرى وجهكِ، وأسمع صوتكِ، ليطمئن قلبي.. على أية حال أنتِ، هل أنتِ بخير أم أن مكروهاً قد حدث؟ أعلم جيداً أنكِ لست بخير ياغزل.. هُناك إحساس في داخلي يُنبؤني أنكِ لستِ على ما يرام!

ماذا فعلوا بكِ؟ ما الطريقة؟ وما العنف الذي إستخدموه لإجبارِكِ على هذا الزواج؟

أحاول أن أتنسم أخبارك من قِبل شقيقتي.. لكن لا جدوى.. أردت على الأقل أن تكتبي إلي، وأنتِ التي مُلئة حياتي بحروفها، رسالة، حرف، أو نقطةً بقلمكِ، فقط كل ما أريد.

يا الله ياغزل..

مالذي فعله بنا القدر؟

أي لعبةً من ألعابه هذه؟

كنا على وشك الوصول ياغزل.. كلها بضعة أيام.. كنت متأهب لخطبتكِ! كنت على الوشك التقدم إلى أهلكِ لطلبكِ منهم شرعاً وعُرفاً ياغزل.. فقط كنت أريد بعضاً من الوقت.. عائلتي على أتم الأستعداد لخطبتكِ لي، كل شيئًا جاهز وعلى أتم وجه! لكن القدر لعب لعبته تأخر البطل عن البطله فتاها كليهُما في دوامة الضياع.

ليتني ياغزل..

ليتني ما أجلت، وعجلت.. ليتني تقدمت قبل حلول الظلام! قبل وقوع العاصفة، قبل أن يقوم الأشرار بأسركِ محبوبتي!

أتذكر حماسي قبل أيام مما حدث ياغزل.. كنت سعيداً، ومُتحمس، ليس وحدي بل كلينا ياغزل!

أتذكر أنكِ قلتِ لي وقتذاك: أنني لن أركِ أو أقابلكِ بعد خطوبتنا!

سألتكِ: لماذا؟

فأجبتي بغرور: هكذا يقول الشرع وهكذا تحكم الأعراف.

ـ أي شرع وأي أعراف هذه؟.. التي ستمنعني من رؤية خطيبتي.

ـ ستمنعك أكثر من ذي قبل.. إن أصبحت خطيبتك.

قلت لكِ في شيء من الثقة: لكن لاشيء سيمنعني بعد أن تصبحي زوجتي.. سأُعجل لأُقيم حفُل زفافُنا، وبعد ذلك حتى أنتِ لا يمكنكِ أن تهربي.

ـ ليحصل ما تقول، أولاً.. لا تتحمس فالحماس الزائد يُفسد الأمور.. ويشوه النهايات.

ـ سيحدث، وقريباً جداً يا سلطانتي، إطمئني لم يبقى سوى القليل.

هكذا كُنا متحمسان في أخر فصول السعادة من حكايتنا.. كُنا في قمة السعادة! لكم كنت سعيداً ومتحمس، كيف لا؟ وأنتِ ستُصبحي ملكي أنا وحدي.

ولكن خُطبً ما قد حدث؟! فأنهار المبنى قبل رفع السقف، أنحرف الطريق فجأةً، نحو مُنحدراً عنيف، حُفرةً يصعُب الخروج منها، سقطنا بها.. حين ظننا بأننا نجونا، أو على وشك النجاة!

حاولت بشتى الطرق، وحاربت بكل ما أملك من قوة، بكل الوسائل، كما فعلتِ ياغزل، وقفت خلف كل الأبواب حاولت

فتحها، حاولت كسرها، لكن مامن فائدةٍ، كل الأبواب كانت مُغلقة في وجهي.. وجدت نفسي للحظة أقف عاجزاً عن فتحها! عن الخروج من هذه الحفرة التي أسقطني فيها، وإياكِ القدر.

عائلتي رفضوا أن يدخلوا معي في هذه الحرب، لأنهم يعرفون أنني سأخسر، وسأكسرهم ياغزل.

بحجة أنه لا يمكن أن نشتري ما سبق بيعة، وأن ذلك أمراً مُخالفاً للعادات والأعراف، ومُخالفاً لشرع، رفضوا حتى المحاولة ياغزل!

أذكر كيف صرخ عليَّ والدي بغضب وهو يقول:

ـ أنت لست في السوق لتنافس على شراء سلعة، هذه مسألة عارٍ وعرض، الفتاة خُطبت لرجُلاً أخر، ولا يمكن أن تكون هُناك خطبةً فوق خطبه.

هذا ما قاله لي والدي، بكل حزم وإصرار.. هكذا كان موقفه معي أنذاك، وكان على حق، لكني لم أكن أرى أن هُناك حق أو

عدالةً تحكُم أن تُسلبي مني ياغزل.. أي حق وأي عدالة، وأي عُرف، وأي دين يُدلي بذلك؟!

أما أمي.. فلم أجد من حنيتها وأمومتها، سوى الكلمات التي لا زالت ترن في أُذناي، والتي عرفت لاحقاً أن أمي لم تقلها لي عبثاً، إنما أرادت أن توعيني تُنبهني، وتُرشدني، أرادت أن تعلمني أن لا قُدرة لنا فوق قُدرة القدر، لا قوة لنا تضاهي، قوة القدر!

ما أحكمها أمي وما ألطفها ياغزل؟! حين قالت بصوت حزين لحزني عليكِ: يابُني كل شيءٌ مُقدر ويجب أن نرضى بما قُدر لنا.. إن كنت تريد، فأنا أريد، لكن الله يفعل ما يريد.

جُمل لا بد وأنها بسيطة ياغزل، لكنها تحمل الكثير من المعاني، وتخفي الكثير من الإيمان، هُنا عرفت ياغزل أن الرضى بما كُتب لنا، عبادةً خالصةٍ عظيمة، وأن أصدق الإيمان هو إيمان الأمهات.

هُنا أصبحت أقف مكتوف الأيدي! عاجزاً عن فعل شيء، لم يعد هُناك أي شيء يمكنني فعله، ضعفت يا قمري.. هذه هي الحقيقة، وهذا هو حالي! فماذا عنكِ ياغزل؟ ماذا عنكِ يا مصدر قوتي وسعادتي؟!

هل أنتِ بخير ياشمسي وضيائي؟

تُرى هل ستنجحي في إزالة هذا الظلام؟

هل ستنتصري لنا في حرب دفاعكِ عن حُبنا؟

هل ستثمر محاولتكِ، فتفتح لنا أبواب الأمل، والسعادة من جديد؟

هل سينفع إصراركِ وثبوتكِ؟

هل ستكوني البطلة التي تنقض حكايتها وتكملها؟!

لا أعلم عن حالكِ سوى أنكِ مخلوقةً من العناد، وأملي بكِ كبير، أنتِ..(حفيدة بلقيس).. العظيمة، والحكيمة! وأنا على يقين بأنكِ لن تفعلي سوى الصواب.

لكن عاصفةً قدّريةً أُخرى قد أطفئة شمعة الأمل التي بقية بين يديكِ، فقد حُدد موعد زفافكِ فجأةً، وتم إصدار الحكم قبل سماع المُتهم! ورفُعت الجلسة قبل وقوعها، وأغُلقت القضية، وقضي الأمر.. وتم القصاص بسيف الفراق ، وفات القطار قبل الركوب فيه، وكأن القدر بخل أن يمنحنا فصل الختام، أو يترُك لنا وقتً لقرأة أخر سطراً من حكايتنا، أو وضع نُقطةٍ في نهايته.

* * *

- حين أفكر بفراقنا المحترم!
يبكي البكاء طويلاً.. ويشهق بالحسرة..
بالحسرة.. بالحسرة.. بالحسرة! -

(غادة السمان)

لقد حان موعِد الفراق ياغزل..

وها أنتِ بعد يومين فقط، سُتصبحي أجمل، وأعظم، وألطف عروسٍ زُفت في هذه الدنيا، ستُزفي لبيتٍ غير البيت الذي حلمتي أن تُزفي إليه، بيت لن أكون أنا صاحبه، ستُصبحي زوجة رجُلاً آخر ليس بأنا، وستكوني أُماً لأطفالاً لست بأبيهم.

رباه ياغزل!..

كيف لي أن أحتمل أمراً كهذا؟ وأنا الذي لا أستطيع تخيلُه أبداً؟!

وكيف لكِ أن تكوني سعيدةً مع شخصاً آخر؟

سوف تنتقلي إلى ذمة رجُل لم تعرفيه، ولن تحبيه.. أليس في هذا ظُلمٍ ياغزل؟! أليس من الظُلم أن نعشق شخصاً، ونتقاسم كل مشاعر العشق، والسعادة، والحزن! ونبني معه أكبر أحلامنا..

ونعيش معه أجمل لحظاتنا.. ثم يأتي شخصاً ما ويسرقه منا بكل سهولة؟! أن يكون من نصيب شخصاً لا يُعرف؟!

أليس من الظُلم أن نفترق، في الوقت الذي حلمنا أن نجتمع فيه؟!

أليس من الظُلم أن نتعانق عناقاً حلمنا أن يكون عناقنا الأول وليس عناقنا الأخير؟!

أن نودع بعضُنا، عندما يحين لنا اللقاء؟!

لم أفكر البته في وادعكِ، ياغزل.. ولكم أكره الوداع؟! ولكن هانحن نُودع بعضُنا، هاأنذا أودع سعادتي!

بعد مضي أسابيع من ضياعكِ، وقبل يوماً فقط من موعد زفافُكِ، وجنازت سعادتي ظهرتي ياغزل.. وكان أخر ظُهوراً لشمس، قبل الغُروب الأبدي..

رأيتُكِ تجلسي في زاويةٍ عاتمة الضوء عند جدار بيتك، تنتظري قدومي.. أقدمت عليكِ، ولكني لم أجد أمامي سوى شمس غاربة!

نظرتُ إلى عينيكِ فوجدتها شبه مُختفيه، وجنتيكِ، المُتوردة، صارت مُتورمة، وتحت عينيكِ لوناً مُخيف!

تمنيت لو أن عيناي مارأتكِ على ذلك الحال، ليتني مُت قبل هذا، وكنت نسياً منسياً ياغزل..

كيف لقلبي أن ينبُض؟

كيف لحالي أن يثبّت؟

كيف لكبريائي أن لا يسقُط؟

أي كرامة بقية، وأنا أراكِ بهذا الحال العصيب؟!

وددت إحتضانكِ، لأداوي جراحُكِ، وأملأ بكِ هذا الثُقب، والفراغ الذي سكنني.. لكن شيئاً ما منعني من فعل ذلك؟!

و وجدت نفسي، أقف أمامكِ، مخذولاً، مكسوراً، مُطئطئ الرأس! لا أدري ماذا أفعل؟!

أو مالذي أقول؟

وقد خسرت الحرب، وصرت فارساً مهزوم ياغزل!

ودون مُقدمات.. دون كلمةً تُقال، أو حركةٍ مُسبقة، وجدت يديكِ تُحيطني/ تُعانقني، فتُجبر كسري، وتُداوي جرحي، وتُدثرني، وتنفُض عن روحي شُر الفُراق، وتجلي عني ظلام تلك اللحظة التي لا نور فيها، وباتت تلك النار تنطفئ وتخمُد، وذلك الجليد يذوب شيئاً فشيء! وفي لحظةً صرت كالطفل بين يديكِ، أحتنضنُكِ، وأجد في حُضنكِ أماني، أملأ روحي برائحتكِ، أحتفظ بعطركِ الفريد بكل جوارحي، آوي إليكِ، كطفلاً يؤي إلى حُضن أُمه، كمهاجراً يؤي إلى وطنه بعد هجرةٍ طويلة، أستنشق هوأكِ، وألوذ إليكِ، حضنكِ فرشي، ويديكِ دفائي، ورائحتكِ هوائي؟!

وكطفلةٍ في الرابعة من عمرها، وجدتكِ ترقُدي في حُضني، مياه راكدة في بئراً عميق، تركدي أنتِ في حُضني، وأزداد عطشاً، كل ما ركد الماء بين يدي.. ويذوب كلٍ منا في الأخر، دون صوت، عيناكِ بعيناي، بحران يختلطان ببعضيهُما، أنفاسكِ تُداعب أنفاسي، فتغمرني بالدفئ رُغم إرتفاع درجة الحرارة! تضعي رأسكِ على صدري، تبكي، ويبكي بُكائكِ كل بُكاءٍ ياغزل! تجتثي قلبي من مكانه، وتقبضي روحي مئات المرات، وأنتِ تبكين.

إلهي ياغزل..

كيف لي أن أصف تلك اللحظة؟

أي قلمٍ سيكتبها، وأي كتاباً يحتضنها، وأي لُغةً ستعبر عنها؟

عينيكِ تفيض منها الدموع بحراً في حالة مداً، تمتد منهُ أمواجاً فتترك أثراً على شاطئ خديكِ، تُحرقني وتُغرقني في آنٍ واحد! فكل

دمعةٍ تسقُط من عينيكِ، تمورني، وتمثل "تسونامي" تغرق غابات روحي المحترقة.

ماذا أقول في حضرت الموقف ياغزل؟
هل أستنجد بأبيات (يزيد بن معاويه)..حين قال:

وأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ،وسقت..
ورداً، وعضت على العُناب بالبردِ!

كم أغبط هذا الشاعر العاشق، على وصفه هذا، ولكني أُراهن أن لو كنتِ أنتِ في مكان من وصف.. لوقف عاجزاً عن قول شيء، ولو قال فأنه قد كذب، وأذنب، لأن عيانكِ أجمل من أن تصف بالنرجس، ودموعكِ أغلى من أن تُقدر بثمن، وخديكِ أنعم من الورد، وشفاهكِ أحلا من العُناب، وأسنانكِ أبيض من

البرد.. ولا توجد في قواميس اللغات كلمة لوصفكِ، أو في الكون خلقً يحل مكان خُلقكِ!

نظرت إليكِ، ومسحت الدموع الساقطةُ من عينيكِ الناعستان، الجارية بإنهماراً على وجنتيكِ، والتاركة خلفها جروفاً في روحي، وأثراً لا ينتهي، وفي داخلي صوتاً جريحاً يقول: لا تبكي ياغزل.. لا تبكي محبوبتي، ولا تدمعي أيتها العينين الجميلتين.

أتممت وضوئي من دمعكِ الطاهر..
ووليت وجهي نحو قِبلتِي الأولى..
ووقفت مُحرماً في محراب عينيكِ..
على رأسكِ وجب ركوعي، فقبلته وبدأت صلاتي..
و على جبينكِ أقبلت ساجداً، فقبلته إثرى سجودي..
و على خديكِ وجب تسلمي..
فحييت خدكِ الأيمن بقُبلةٍ..

و بمثلها سلمت على شمالي..
فأكملت ديني للمرة الأولى..
ولأخرة مرةً أديت طقوسه..
بأربع قُبلاتٍ قد جمعت
بين فريضة اللقاء، والوداع..
وأتمت سُنة الفراق بخشوع العاشق في حضن المعشوق!

وما أن هيأت لساني لتنطق إستغفاراً..
حتى وجدت يدكِ على فاهي، مانعةً إياي من ترديد إستغفاري..
وكأنها قد عفتني وغفرت لي سلفاً، ذنبً لم أرتكبه..
ووجدتكِ تُكرمي جبيني بقبلةٍ، وتُطلي خداي.. "بالعسل" .. بقُبلتيكِ، وترضي عني، وأنتِ تُقبلي رأسي، وتطلبي رضاي وأنتِ تُقبلي يداي! ومن دون أي حرفاً يُنطق، تمضي رويداً.. رويداً..

في طريق الفُراق، تاركةً إياي في المجهول، وأنا أشاهد طيفُكِ يلتهمه الظلام، كشمسٍ غاربةً، لا شروق لها بعد ذلك الغروب!

أقف وأنظر إليكِ، وأنتِ تبتعُدي، ويتلاشى خيالكِ في ظلام الفُراق، ويتلاشى معه الرماد الباقي من روحي.

أناظركِ ذاهبةً عني، وفي داخلي طفلاً يحتاج حضنكِ الدافئ.. يبكي وهو يقول: لا تذهبي يا أمي، لا تذهبي!

وصوتاً يملئُني: لا تذهبي ياغزل.. فأنا طفلُكِ، حبيبُكِ، أخاكِ، والدكِ، أنا أبُنكِ وأنتِ أمي، وأختي، وصديقتي، وحبيبتي، وعائلتي، لا تذهبي ياغزل، لا تتركِ يداي، تُحرق بنار الفُراق، فأنا وربي لا أقوى فُراقكِ.

وبعد دقيقةً من غروبكِ، وتلاشي أخر خيطٍ من خيوط ضيائُكِ، وجدتني أمشي في ظلام هذا الفُراق.. أجر خُطاي مُتعثراً بالشيء وللا شيء، أتلمس طريقي نحو المنزل بحظراً وبدون

حظر.. أحمل معي شر الفُراق.. أحمل معي الخذُلان، والوجع، والإنكسار، جرحي ينزف دون توقف، و أشلاء قلبي تتبعثر، و الحزن يُحيط بي.

عُدت إلى بيتي.. حاملاً معي خيباتي، وخساراتي، والهزيمة في حرب الأقدار!

إلهي ياغزل..

ما أسوأه هذا الفصل؟ كل صفحاته يملئُها الظلام، و حروفه سوداء !

كم هو مؤلم هذا الفصل من حكايتنا؟

كم تصعُب عليَّ كتابتة ؟

وكم توجعني قرائته؟

لا أعرف كيف ينتهي؟

أو كيف كانت بدايته؟

لا أجد فيه سوى الوجع، الفُقد، والحرمان، الهزيمة، والخذلان، العشق الذي يحتل أرضه الفُراق، والندم!.. وماذا عن الندم؟.. فكل سطراً يتبعهُ، يُكتب بحبر الندم.

الندم ياغزل..

هو الحبر الذي تُكتب به بقية السطور.. هو كل ماتبقى لهذه الحكايه.

* * *

لا تقلب الصفحة حتى تقراء السطر الأخير..

.....؟!

يُقالُ ياغزل..

أن لا تقلب الصفحة قبل أن تقرأ السطر الأخير..

أسأل نفسي الأن أين السطر الأخير لهذه الحكايه؟

وما الكلمات المخطوطة على هذا السطر؟

لست أعلم ياغزل؟!

ولا أجد لسؤالي جواب يقُنعني!

لكنني أعرف أن ما قِيل صحيحاً، لا يمكن أن تُقلب الصفحة قبل قرأة أخر سطراً منها، وهذا السطر الأخير هو رسالتكِ الأخيرة.. ياغزل.. جاءتني رسالتكِ الأخيرة بعد لقاءنا الأخير بالحظاتٍ يسيرة! أقبلت شقيقتي بعد عودتي للبيت، حاملةً في يدها صندوقاً من الورق المقوى، أعطتني إياه وسلمتني رسالتكِ الأخيرة، وكأنها تقول لي: هذا كل ما بقى لك من غزل؟!

وضعت الصندوق جانباً، وفتحت الرسالة لأقرأها، وأقرأ معها السطر الأخير..

.

.

.

من غـزل..

•

•

حبيبي سام:

لا أعرف كيف سأتمكن من كتابة هذه الرسالة ؟..

ولا أعرف كيف ستتمكن أنت من قرأتها ؟..

صدقني أن روحي تذوب مع كتابتي لكل حرفاً منها !

لا أعرف كيف سأكتب إليك ؟..

أو ماذا سأكتب لك ؟..

أردت أن أختصر كل شيء، وأكتب لك.. "أنا آسفه" ! لكنني خشيت أن تحمل إليك معنى غير المعنى الذي أقصده، خُفت أن تُعبر عن جفافٍ عاطفي، أو أن تكون عنواناً لخيانة، لم ولن أرتكبها.

أنا آسفة.. لأنني لم أستطيع منع ما حدث من الحدوث! أنا آسفة.. لأنني رفعة راية الأستسلام للقدر الذي سيبعدني عنك، ويبعدك عني.. أنا آسفة.. على كل جرحاً كنت أنا سببه، وعلى كل ذنبً لم أرتكبه، وعلى هذا الفُراق الذي حل بيننا!

لو كنت أعرف أن حُبك سينتهي بهذا الفراق، لقتلت نفسي ياسام، لكنني أعرف أن الجسد سيدفن بمجرد أن تفُارقه الروح.

فأنت العيون التي أرى بها، وأنت العقل الذي أُفكر به، وأنت القلب الذي ينبُض في صدري، والدم الذي يجري في عروقي، وأنت الروح التي نفخت بي!

حُبك هو الدنيا التي ولدت فيها، عشقُك هو الحياة التي خُلقت لأعيشها، في قربك صحوتي وقوتي ، وفي بعدك منامي وضعفي، صوتك مسمعي، وكلامك منهجي، رأحتكِ هوائي الذي أستنشقه، ورضاك الجنة التي أعمل وأطمع بها، وغضبك النار التي أستعيذ منها، إبتسامتك زادي، وريقك مائي، وحضُنك أرضي و

وطني ياسام.. وإن حال الفراق بيني وبين وطني، فهذا لا يعني أن حُبك سينتهي، لأن حُبك ياسام عالم لا نهاية له مهما طالت بنا المسافات، ومهما عبرنا من محطات الزمن، لن أستطيع الخروج من هذا العالم، مع كل خطوةً سأخطوها بُعداً عن وطني، سوف يكبرُ ويزيد معها إتساعاً عالمي.. حبي لك عالم وسيع لا حدود له.. حتى أنا لا أعرف أين ومتى ستكون نهايته؟!

لكنني أعرف تماماً أنه عالمي الذي أعيش فيه، وأنه يزداد إتساعاً، مع كل خطوةً أخطوها.. حُبك عالمي ياسام، وأنت وطني، وعاصمة هذا العالم! وهذا الفراق لن يكون سوى الغُربة التي سأشعر بها في هذا العالم، والطريق التي ستُبعدني عنك يا وطني، وليس نهاية حبي لك.

فلا تُذيقني جحيم غضبك أرجوك! وكن راضياً عني! هذا هو طلبي الأخير، وهذا كل ما أطمع أن تفهمه من هذه الكلمات! التي لا أعرف كيف ستتمكن من قرأتها؟

وقبل أن أكتب أخر كلماتي..

لقد أرسلت لك بصندوق، إنه يحملني إليك ياسام، لقد وضعت لك في داخله، دفتر مذكراتي، ودفتراً أخر ما زال فارغاً من الكلمات، لا زالت سطوره خاليةً من تلوث الحبر، ولا زالت أوراقه بيضاء، لتكتُب فيه عني، وعن حكايتنا هذه، ولتكتب فيه إلي.

في وسطه، وضعت لك صورتي، لتراني كل ما فتحته، وعلى الدفاتر، وضعت لك قلمي المُفضل! و شالاً يحمل بعضاً من رائحتي التي تُحبها، لتضمني، وتشم رائحتي كل ما إشتقت إلي!

أخيراً ياسام..

عدني أن تبقى تكتب لي، عدني أن تكتب عني.. عدني أن تكون سعيداً، أن لا تضعف، مهما حدث!

أُحبك، وسأبقى أُحبك، وسأموت بحُبك.

(غزل)

.

.

.

هذه هي رسالتكِ!

هذه هي كلماتكِ الأخيرة..

هذا هو السطر الأخير ياغزل!..

تخلجني شعور الفخر، رُغم مرارة الخسارة، حين قرأت رسالتكِ، فكتبت لكِ أخر رسالة مني إليكِ.. قبل الهروب من رؤيتكِ تُزفي لرجُلاً غيري!

.

.

.

إلى غـزل..

.

(حبيبتي غزل)..

أما قبل:

ليس لدي من الكلمات، ما أكتبه عنكِ! لكنني أُعدكِ أن أكتب لكِ حتى الموت، وأن أحبكِ حتى الموت! وأحبكِ بعد الموت! أُعدكِ أن أحملكِ معي أين،وحيث ماحليت..

وأما بعد..

فلا تطلبي السماح سلطانتي، وأنتِ من يُطلب منكِ السماح! كوني سعيدةً، و إبقي قويةً، من أجلي.. قلبي بين يديكِ! فلا تكسريه، بضعفكِ! هذا كل مالدي الأن لكِ..(حبيبتي).

و أخيراً..

فأنا.. أُحبكِ ياغزل، و سأبقى أُحبكِ..

(سام)

طويت رسالتي، و بعثُتها إليكِ، و أنا أعرف أنها و صلتكِ، و نامت بين يديكِ، و عزمت الرحيل صباحاً، فلا مكان لي بعد رحيلكِ، سأهرب، قبل رؤيتكِ تُزفي لرجُلاً غيري ياغزل.. و سأحمل معي خيبتي، و إنكساري، ووجع الفُراق، و صندوقكِ، و حُبكِ، سأحملكِ معي أين ما وليت وجهي.. و سأهجُر الأرض التي ذبُلت فيها زهرتي، و إغتُصبت فيها أحلامي، و غابت عنها شمسي، و سُرق منها قمري، و أُسرت فيها سُلطانتي! و سأقلب الصفحة، بعد أن قرأت أخر سطراً منها.

* * *

بعد عامًا من الفُراق..

•

•

•

إلى غزل..

.

.

.

حبيبتي غزل:

كيف حالُكِ؟

و الليل الكامن في شعرك كيف؟..

و القمر الساكن في عينيكِ كيف؟..

و الكحل الأسود في جفنيكِ كيف؟..

و الزهر الفاتح في وجنتيكِ كيف؟..

و العسل الذي يملأ شفتيكِ كيف؟..

و الغمازتين الساكنة وسط خديكِ كيف؟..

و النقش اليماني على كيفكِ كيف؟..

و رائحة الفُل النابعة منكِ كيف؟..

و أنتِ جميعكِ كيف؟..

إشتقت إليكِ! وإلى كل شيئاً فيكِ!.. و هذا ليس جديداً يا غزل.. فأنا أشتاقكِ دوماً.. و يقتلني شوقي إليكِ!

لقد مضى عاماً على فُراقكِ.. و لا أعرف كيف أنتِ؟

أنا الأن بعيداً عنكِ! أعيش في غُربتي وجع الفُراق وحدي.. كل شيء يقتلني! و كل شيءٍ بي يدفعني إليكِ! لا شيء هُنا.. سوى الظلام.. لا شيء هُنا سوى حُطام!

لكنني كما وعدتكِ حبيبتي.. ها أنا أكتب لكِ، و إليكِ.. رُغم أنني أعرف أن حروفي لن تصل إليكِ! إنما عزمت على كتابة حكايةٍ تحمل حبي لكِ، عنوانها إسمكِ العذب ياغزل!

و سأكتب لكِ و إليكِ، كل ما إستطعت.. أُعدكِ.. ياغزل، إعتني بنفسكِ حبيبتي، و إعتني بالقمر الساكن في عينيكِ.

(سام)

.

.

.

إلى غزل..بعد عامين على الفراق..

.

.

.

إلى غزل.. في ثالث فصول الفراق..

.

.

.

إلى غزل.. في رابع فصول الفراق..

.

.

.

إلى غزل.. في خامس فصول الفراق..

.

.

.

إلى غزل.. في سادس فصول الفراق..

.

.

.

(بعد ٧ سنوات)

إذا أخذني الموت ولم نلتقي فلا تنسي أني
تمنيتْ لقائكِ كثيراً..

(مجهول)

.

.

.

إلى غزل.. لن ينتهي هذا الفراق..

.

.

.

حبيبتي غزل :

لقد رجعت أخيراً.. بعد سفراً طويل.. بعد ٧ سنوات على الفراق.. و من الغياب!

رجعت إلى حيث كانت ولادة هذا الحكاية!

إلى الدار الذي عشنا فيها أحلا سنوات العمر.. و أجمل فصول حكايتنا!

رجعت إلى الدار.. و لكنني لم أجد سلطانة الدار! لم أجدكِ ياغزل..

تُرى أين أنتِ؟..

و كيف ستُعمر الدار، دون وجودكِ فيها؟..

وكيف حالُكِ سلطانتي؟.. خلف قُضبان الأسر.

إنني أجلس الأن - (تحت ضياء القمر) - على مقعد الذكريات! في نفس المكان الذي كُنا نجلس فيه!

أفتح صندوقكِ الذي بقي لي في هذه الحكاية! ألف شالكِ حول عُنقي، و أُغطي به أنفي كي أستنشق مابقي لي من رائحتكِ!

أُقبل صورتكِ، قبل أن أضعها أمامي لأكحل عيناي برؤيتكِ، ثم أمسك قلمكِ المُفضل، و أكتب إليكِ على أوراق ذلك الدفتر،أحاول أن أجد نهايةً لهذه الحكاية التي لا نهاية لها!..

لكن عبثاً تذهب محاولاتي..

فلا نهاية لحكايةً عنوانها أنتِ ياغزل..

أبحث عن سطراً أخيراً لأقرأه، قبل أن أقلب الصفحةُ السابعة من فصل الفُراق.. فلا أجد ياغزل؟!

أضع القلم، لأتلمس بعضاً من حُطام.. من حُطامي، بعد سبع سنوات على فراقنا!

يا الله ياغزل..

كيف مضت هذه الأعوام؟..

لكم طال هذا الفُراق بنا؟..

و لكم طالت بنا المسافات،و أسرعت بنا عجلات الزمن؟!

تمضي بنا الأيام في عجل، و يمضي بنا العُمر دون أن نشعر به، تُقلب صفحات السنين، دون أن نقرأ ما فيها، أو نستوعبه!..

ظننت أننا سنكون في عمرنا هذا معاً، وطفلُنا الصغير يلعبُ في مرحاً بيننا.. لكنني أجلس الأن بمفردي أندب حظي اللعين، و أبكي على أحلامي الضائعه!.. أنظُر في خوف إلى القمر، لأجده يشهد بسطوعه على خيباتي!

لا أحد يعوضني ما فقدت..

لا أحد يعُيد ما ضاع مني..

لا شيء يرُمم خسارتي لكِ..

ولا شيء يشعر بما يحدث بي؟.. سوى الوجع الذي أصبح رفيقي مُنذو لحظة الفُراق التي لا تنتهي!!.

تمت والحمدلله

2022/4/25 م

يمان عبدالعزيز

لتحميل أعمال المؤلف يرجى زيارة مكتبة نور

https://www.noor-book.com

noor-book.com
https://www.noor-book.com

Google

كنت جباناً عندما أحببتها

الكل فيديو صور الأخبار الكتب أموال أدو

noor-book.com
https://www.noor-book.com › كتاب...

تحميل كتاب كنت جبانا عندما أحببتها PDF - مكتبة نور

وصف الكتاب. أنتِ أول تجربة عشق في حياتي، بقدر ما فشلت فيها، فإنني كسبت منها، لن أبكي عليكِ، و لن أبتسم لكِ، هنيئاً أنتِ لمن تحبي، و هنيئاً لكِ من أحببتي، ...

لتحميل أعمال المؤلف يرجى زيارة مكتبة نور

https://www.noor-book.com

noor-book.com
https://www.noor-book.com

الكتاب

تمضي بنا الأيام في عجل، و يمضي بنا العُمر دون أن نشعر به، تُقلب صفحات السنين، دون أن نقرأ ما فيها، أو نستوعبه..

ظننت أننا سنكون في عمرنا هذا معاً، و طفلُنا الصغير يلعبُ في مرحاً بيننا، لكنني أجلس الأن بمُفردي أندب حظي اللعين، و أبكي على أحلامي الضائعة.. أنظر في خوف إلى القمر، لأجده يشهد بسطوعه على خيباتي.

تحت ضياء القمر رواية يمان عبدالعزيز

المؤلف

" عبدالعزيز الحدالي" روائي وقاص.. "يمني" من موليد- يناير ٢٠٠١م.. صدر له عن "هدهد سبأ".." كنت جباناً عند ما أحببتها "- قصه" ط ١ أغسطس ٢٠٢١م.. تنشر أعماله على " مكتبة نور الإلكترونية " بالأسم المستعار - يمان عبدالعزيز - ولم تصدر له أي كتب ورقية حالياً.

تحت ضياء القمر رواية يمان عبدالعزيز

الطبعة الأولى

منشورات هدهد سبأ